مجلة شهرية

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 138 عدد:

Febrouary 2019 شهر شباط

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

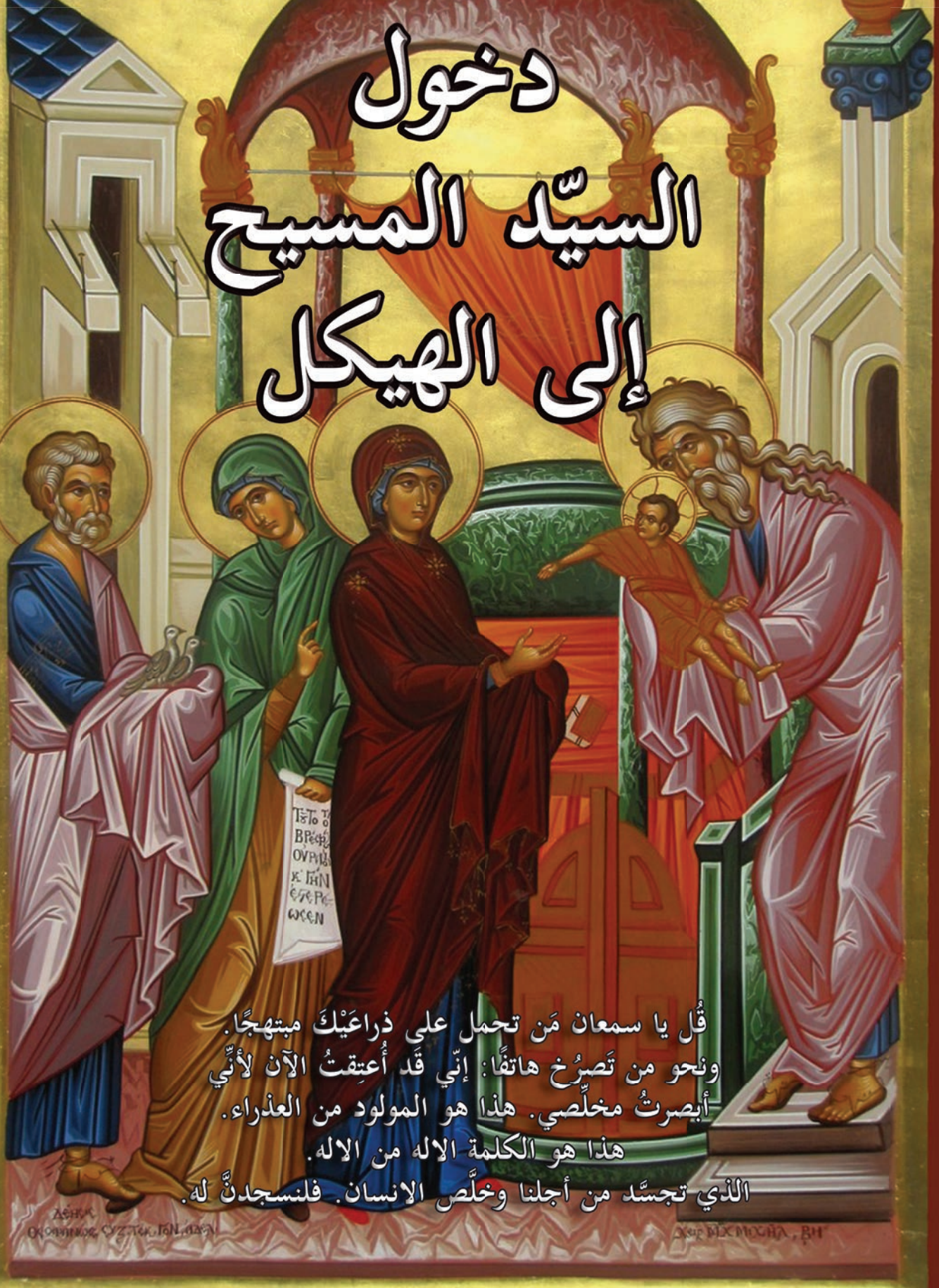

قُل يا سمعان مَن تحمل على ذراعَيْكَ مبتهجًا.
ونحو من تَصرُخ هاتفًا: إنّي قد أُعتِقتُ الآن لأنّي
أبصرتُ مخلِّصي. هذا هو المولود من العذراء.
هذا هو الكلمة الاله من الاله.
الذي تجسَّد من أجلنا وخلَّص الانسان. فلنسجدنَّ له.

في التّوبة

للقدّيس نكتاريوس العجائبيّ

«تُوبُوا فَقَدِ اقتَرَبَ مَلَكُوتُ السّماوات» (مت ٣: ٢).

التّوبةُ هِيَ نِيّةُ العَودَةِ إلى اللهِ الّذي ابتعدَ الإنسانُ عنه. فَمِن خلالِ التّوبةِ يَطلُبُ الإنسانُ التّواصُلَ مَعَ اللهِ، ويَلتَمِسُ رَحمتَه.

إنّ اللهَ مُحِبٌّ لِلبَشَر، ولا يُريدُ أن يَهلكَ أحدٌ، بل يُريدُ الكُلَّ أن يَخلُصُوا وَيُقبِلُوا إلى معرفةِ الحقّ. لذلك، لا يَقبَلُ توبةَ التّائبينَ بإرادتِهِم وَوَعيِهِم وحَسْب، بَل يَدعو أولئكَ الّذين تَهَوَّرُوا في الخطيئة بسببِ فقدانِ الحِسّ، وَيُريدُ أن يُخَلِّصَهُم.

«اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا» (١ كو ١٣: ٨)

منذُ سُقُوطِ آدم، لم يتوقّفِ اللهُ عن دعوةِ الجميعِ إلى التّوبةِ والرُّجوعِ إلى الشّركةِ معه. وقد ظهرتْ محبّتُهُ العُظمى للبشر عندما أَرسَلَ ابنَهُ الوحيدَ لكي يَدعُوَ الإنسانَ الّذي ضَلَّ بِسَبَبِ الخطيئة، لكي يُصالِحَه. لِنَنظُرْ مِقدارَ محبّتِه لِلبَشَر: لَمّا كانتِ البشريّةُ رازحةً تحتَ ثِقَلِ الخطيئة، وعاجزةً عن الاتّصالِ بالله، أرسلَ اللهُ يوحنّا السّابقَ كملاكٍ أمامَ ابنِه الوحيد، لكي يُهَيِّئَ الطّريقَ أمامَهُ ويَدعُوَ النّاسَ إلى معموديّةِ التّوبة لغفرانِ الخطايا. رسالةُ يوحنّا، الّتي أُعلِنَ عنها مُسبقًا بنبوءةِ إشعيا، كانت مثالًا كبيرًا للمحبّةِ الإلهيّة للبَشَر، لأنّها بَشَّرَتْ بالنِّعَمِ الإلهيّةِ اللامحدودة.

ولكنَّ نبوءةَ كارزِ التّوبةِ شَهِدَتْ للحاجةِ الماسّةِ إلى التّهيئةِ مِن أجلِ تَقَبُّلِ المُخَلِّصِ والإنجيلِ والسّلام، والإعدادِ لها. فَلَو أنّ وَضعَنا الأخلاقيَّ لَم يُعِقْ فِعلَ النِّعمةِ الإلهيّة، ولو أنَّ النِّعمةَ خَلَّصَتِ الجميعَ مِن دُونِ تمييز، وَمِن دُونِ أن تَفصلَ بين الخيرِ والشّرّ، لَما كانتِ النُّبُوءةُ ضروريّة؛ ولَما كانت كِرازةُ يوحنّا ومعموديّةُ التّوبة ومجيءُ المخلّص ضروريّة. لماذا؟ لأنّ اللهَ كان قد خلّصَ الإنسانَ مِن دُونِ إرسالِ ابنِهِ الوحيد.

ولكن، لِأنَّ وَضعَنا الأخلاقيَّ كان يُعيقُ نعمةَ الخلاص أن تَفعلَ في الخاطئ، أي في الإنسانِ الّذي سقطَ أخلاقيًّا وَلم يَعُدْ قادِرًا على النُّهُوض، بَشَّرَ اللهُ بالتّهيئةِ وطالَبَ بِها، مُرسِلًا السّابقَ قَبلَ مجيئِه، مُحَمِّلًا إيّاهُ وَصِيّةَ الكرازةِ بالتّوبة، والتّعميدِ بِمَعموديّةِ التّوبة.

يجبُ أن يُنَقّيَ الإنسانُ ذاتَهُ ويتحرَّرَ مِن عُبُوديّةِ الشّيطان، لكي يَصِلَ إلى المُصالحةِ مع الله. الآبُ السّماويُّ يُريدُ أن يَتَبَنّى الإنسانَ وَيُحصِيَهُ مع الملائكةِ والقدّيسين.. يُريدُ أن يُؤَلِّهَه. ولذلك، فالتّوبةُ ضروريّةٌ جِدًّا، وَنَقاءُ السّيرة ايضًا. نعم، إنَّ التّهيئةَ الأخلاقيّةَ ضروريّة، لأنّ الخطيئةَ ظُلمةٌ، بما أنّها عَمَلُ الشّيطانِ المُظلِمِ وَأَبِ الظُّلمة.

فَعَلى الإنسانِ المُتَدَنِّس، الّذي كان يَقبَعُ في لعنةِ الخطيئة، لِكَي يَكُونَ على تَواصُلٍ مع اللهِ القُدُّوس، أن يَبتَعِدَ مُسبقًا عن طريقِ الضّلال، وأن يَتُوبَ عن نَمَطِ حياتِهِ الخاطئ، وأن يَعُودَ إلى اللهِ ويتقَبَّلَ منهُ مغفرةَ خطاياه.

والنّعمةُ الإلهيّةُ لا تُخَلِّصُ الإنسانَ مِن دُونِ مُوافقتِهِ وتَقَبُّلِهِ لهذا التّغيير. إذا أَرَدْتَ أن تَخْلُصَ، فعليكَ أن تتنقّى بالتّوبةِ وَبِحَمّامِها المُطَهِّر، بُغْيَةَ أن تَحظى بِمَغفِرةِ خطاياك، وتتقَدَّسَ، وتَتَصالحَ مع الله.

معموديّةُ يُوحنّا كانت وستبقى إلى الدّهرِ مِثالَ التّوبة، وَسَتُعَلِّمُ الجميعَ أن الشّركةَ مع الله غيرُ ممكنةٍ ما دامَ الإنسانُ حاصلًا في الخطيئة. وَسَتُعَلِّمُ أيضًا أنَّ على الإنسانِ أن يَتُوبَ وأن يَحظى بِحَمّامِ الدُّمُوعِ المُطَهِّر، عُربُونِ مَغفِرةِ الخطايا مِن قِبَلِ الله. فَحيثُ يَدنو رُوحُ التّوبةِ هُناكَ تُبَدَّدُ كُلُّ خطيئةٍ وَتَبطُلُ قوى إبليسَ المُروِّعة، على حَدِّ تعبيرِ القدّيسِ «نِيلُس».

ولكنْ، بِسَبَبِ الضّعفِ الأخلاقيّ، يَسقُطُ الإنسانُ مُجَدَّدًا في خطايا متنوّعة، يُخاطِرُ بِسَبَبِها بِخلاصِه. لذلك، التّوبةُ ضَرورةٌ مُطلَقةٌ مِن أجلِ الخلاص، إذْ علينا ألّا نضيّعَ الوقت، بل أن نُسارِعَ إلى التّوبةِ حتّى لا يَطُولَ زَمانُ الهَوى، فَيَجعلَ النّفسَ عادِمةَ الشِّفاء.

محتويات العدد

التوبة ...	2
كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
حياة النسك	4
دخول المسيح الى الهيكل	5
القديس افثيميوس الكبير	6
-----	7
-----	8
محبة الذّات	10
-----	11
-----	11
الذهبي الفم والرهبنة	12
العبادة المتضعة	15
حبل التريودي المشدود	17
------	17
الصوم وصية من الله	18
الإرادة	19
حول الصوم	20
-----	21
سيرة القديس نكتاريوس	22
----------	22
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة عن المعمودية	24

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد القديس سمعان الشيخ القابل الإله

«لينفتحنَّ اليوم باب السماء. فإنَّ الإله كلمة الآب الذي لا بداءَة لهُ قد اتَّخذ بداءةً زمنية. ولم ينفصل عن لاهوته. فَتُقَدِّمُهُ امُّهُ العذراءُ باختيارِهِ إلى الهيكل الناموسي طفلًا ابن أربعين يومًا. فيقبلهُ الكاهن عَلَى ذِراعَيْهِ. ويهتفُ هتاف العبد نحو السيّد قائلًا: «أطلقني يا سيّد لانَّ عينَيَّ قد ابصرتا خلاصك». فيا من أتى إلى العالَمِ ليخلّص جنس البشر. ياربُّ المجدُ لك.» هذا ما يتفوّه بهِ مرنمُ الكنيسة.

إخوتنا المحبوبين بالرب يسوع المسيح،

أيها المسيحيون الأتقياء والزوار الكرام،

تُكرم اليوم كنيستنا الأرثوذكسيّة بإجلالٍ ووقار سرَّ تأنس كلمة الله الذي لا يُدرك وتنازُلَهُ حتى تَجسُّدِهِ وإخلائِهِ ذاتَهُ أمام شخص القديس سمعان الصدّيق القابل الإله (أي أن المسيح ارتضى أن يذهب لدى سمعان الشيخ وأن يُحمَل على ذراعيهِ.) والذي مازال قبر القديس سمعان موجودًا هٰهنا في هذه الكنيسة والدير الذي يحمل اسمَهُ حيثُ يحتفلُ المؤمنون الأرثوذكسيون بتذكارِهِ المقدس، مُقدِّمِينَ الشكر للإله المحب البشر.

وكما يُدَوّنُ القديس لوقا الإنجيليّ البشير حدثَ إدخال الطفل يسوع إلى هيكل سليمان وحضورِهِ من قِبَلِ والديهِ واستقبالِهِ من الصدّيق سمعان الشيخ وحنة النبيّه إذ يقول:« وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.» (لو ٢ : ٢٥).

إن ربنا يسوع المسيح –كما يقول مرنم الكنيسة– قد برزَ من الأم المُنَزَّهَةِ عن الفساد، أي **والدة الإله العذراء مريم**. وشوهد في هيكلِ مجدهِ طفلًا محمولًا في الأحضان من القديس البار سمعان الصدّيق. ويقول **القديس يوحنا الدمشقيّ**: « أنّ الإله الكائن قبل الدهور يصيرُ إنسانًا ويُحمل كطفلٍ على الأحضان» ويقول أيضًا **القديس كيرلس الأوروشليمي**: «بأنّ المسيح هو الذي خلقنا على صورة الله، وهو الآن يصيرُ إنسانًا على الصورة ذاتها ».

فمن خلال خلاص البشر أصبح كلمة الله المتجسد أي **المسيح «خلاص» الله الآب** الذي رأته عينا الشيخ سمعان الصدّيق كما يقول مرنم الكنيسة: «لما أبصر الشيخ بعينهِ الخلاص الذي وافى الشعوب من الله هتف إليك قائلًا: أنت هو إلهي.»

وبتوضيحٍ أكثر إنّ الشيخ سمعان قد رأى بعينيهِ الجسديتين **المُخَلِّصَ** الذي أتى لجميع الشعوب وهتف نحوهُ بقوةٍ قائلًا: «أيها المسيح أنت هو إلهي الذي ولدت من الله الآب قبل كل الدهور» كما يقول **النبي العظيم الصوت اشعياء**: «وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ» (لوقا ٣: ٦ – اش ٤٠ :٥).

وبكلامٍ آخر أيها الأخوة الأحبة إن **«خلاص الله» أي المسيح** ممنوحٌ لجميع البشر وخاصة لأولئك من لديهم شوقٌ وَنِيَّةٌ صالحةٌ بأن يعرفوا المسيح ويقبلوهُ في أحضانهم الروحية «أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ.وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ». (يوحنا ١٢ : ٤٦–٤٧)

إنّ **خلاص الله (أي المسيح كلمة الله المتجسد)** هو **الله الحي** الذي رآه الشيخ سمعان بعينيه الطبيعيتين كإنسان تامٍّ، بينما رآه بعينيه الروحيتين بأنّهُ النورُ الحقيقي غير المخلوق أي ألوهته كما يقول **قزما المتوحد**: «لما انحنى الشيخ ولمس آثار أمّ الله التي لم تذُق خِبْرَةَ الزواج لمسًا إلهيًا. هتف يقول: إنّكِ تحملينَ نارًا يا نقيّة فأنا أرتعد عند لمس الإله طفلًا. وهو سيّد السلام والنور الذي لا يَغْرُبُ.»

وقد صارت شريكةً ومساهمةً في هذه الخبرة الروحية ولشهادة القديس سمعان، **حنة النبية** الملهمة من الله «التي لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلًا وَنَهَارًا.» (لوقا ٢ : ٣٧) ، «وعندما رأت الطفل مجّدت الله وشكرته ووَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.» (لوقا ٢ : ٣٨)

إنّ هَذَا الفِداءُ الذي صنعه لشعبه **الرب يسوع المسيح بدمه الكريم** (لوقا ١: ٦٨)، يوضح ماهيته **القديس بولس الرسول** في رسالته للعبرانيين إذ يقول: « وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ.... وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا.» (عب٩: ١٣-١٤)

ويقول آباء الكنيسة مُفسرين قول **القديس بولس الرسول**: «لقَد دَخَلَ المَسيحُ إلى الأقدَاسِ» أي «إلى قدس الأقداس في السماوات». ويكملُ القديس بولس الرسول مُفسرًا ما سبق: «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩ : ١٣-١٤)

لقد عَبَدَ سمعانُ الصدّيق **الله الحي** وتكلمت حنة النبية أيضًا عن **الله الحي، أي المسيح الإله المتجسد** الذي «قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ.» (لوقا ٢: ٣٤) ويدعونا أن نلتقي به ليس بحسب الناموس ولكن في الروح القدس.

فلنهتف جميعًا يا إخوتي مع أبينا **القديس كيرللس الأوروشليمي** قائلين: «فلنرقص طربًا مع الملائكة ولنسهر مع الرعاة، ولنسجد مع المجوس، ولنعيّد مع بيت لحم معظمين والدة الإله العذراء مريم ومقدمين مع يوسف فَرْحَي اليَمامِ النفس والجسد ولنقبل المسيح في أحضاننا مع سمعان الشيخ. وَلِنُسَبِّح الربّ مع القديسة حنة النبيّة هاتفين: لأنك أنت إلهنا الصالح إلى جميع الدهور». بنعمة ورأفات ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والعزة مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين. آمين

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ وَسُئِل القديس باسيليوس عن «أي الخطايا يجب أن نُظهرها (نكشفها) لرئيس الدير».

فأجاب القديس وقال:

✝ – كما أنه ليس جيدًا أن يستر الإنسان أمراضًا (بدنية) مُهلِكة في ذاته، بل يجب أن يُعلنها للطبيب، أو أن يعرّفها لآخر، إذا لم يتوفّر إبلاغ الطبيب، لكي يعالجه.

✝ – كذلك هو موت (هلاك) للإنسان الذي يخفي خطيئته، أو يُخفيها آخر، اذا ما عرف بها. (وهذا هو رأي المغبوط أُغسطينوس، الذي يرى أن ذلك ليس إدانة للآخرين) لأنه قد قيل:

* «إن شوكة الموت هي الخطيئة» (١ كو ١٥: ٥٦)
* «تبكيت ظاهر، أفضل من مُصادقة مُخفِّية»

✝ – من أجل هذا، لا يجب أن يخفي أحد خطيئة أخيه، لئلا يكون قاتل (مُهلِك نفس) أخ، عوضًا عن أن يكون مُحِبًّا للأخ، وبعدم الإعلان (الموقف السلبي) يكون الإنسان مُشاركًا لخطايا صديقه (أو زميله أو جاره).

ملحوظة: **الإعلان عن خطأ الآخرين – لآباء اعترافهم – ضرورة لعلاجهم، ولكن بدون ذم، أو تجريح، بل بهدف التّدخل لسرعة علاج العادات الضَّارة قبل تمكّنها من المريض بالروح (كالادمان) والقضاء عليه روحيًا ونفسيًا أو بدنيًا.**

✝ – ومن احتقر (عدم تنفيذ) أمر الرئيس في شيء. فَلْيَبُحْ الواحد للآخر بما عنده (سرًّا) ويُظهر له السبب (في عدم طاعته له) وإن لم يتفقا فليكن بينهما وسيط، لكي إذا ما ظهر أنَّ ما تكلم به الرئيس بخلاف ما جاء في الكتاب المقدس، فليتخلّصوا منه جميعًا، هما وباقي الأخوة. وإن لم يكن كما ظن، فيكون في حَلٍّ من الشكّ، لأن الرسول يقول:«وَأَمَّا الَّذِي يَرْتَابُ فَإِنْ أَكَلَ يُدَانُ، لأَنَّ ذلِكَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ.» (رومية ١٤:٢٣).

✝ – واما الذين يتذمرون خفية، ويستمرون هكذا، لا يُظهرون أوجاعهم (ما يُضايقهم من الرئيس) بل يصيرون علّة شك (عثرة) للآخرين، ومصدرًا للخلافات وغلاظة الرقاب (العناد)، فليُطردوا من المجمع، لئلا ينزلق (يسقط) بسببهم الأخوة الساذجون (البسطاء والقليلو المعرفة أو الحكمة) لأنه قد قيل:

* «أَخرِجوا واحدًا شريرًا، فيخرج المُحزِن (المعاند او المقاوم معه)»
* «فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ»» (١ كو ١٣:٥).
* «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟» (١ كو ٦:٥).

دخول السيد المسيح إلى الهيكل وعيد البَّار سمعان الشيخ

تحتفل **الكنيسة المقدّسة** في الثاني من شهر شباط بتذكار تقدمة السيّد المسيح طفلًا إلى الهيكل (وهو العيد المعروف باسم دخول السيّد إلى الهيكل). يروي القدّيس لوقا هذا الحدث في إنجيله (٢ :٢٢-٤٠). ما سنركّز عليه، هنا، هو موقفا سمعان الشيخ وحنّة ابنة فانوئيل وما يمثّلانه في الحقبة الفاصلة بين العهدين العتيق والجديد.

عندما أتى **يوسف ومريم** إلى الهيكل في اليوم الأربعين لولادة يسوع، التقيا سمعان الرجل البارّ التَّقِيَّ الذي «كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ.» (لو٢: ٢٥)، فحمله على ذراعيه وأنشد: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (٢: ٢٣-٢٩). والمقصود بإسرائيل، هنا، هو الشعب الذي كان، في العهد القديم، يتوق إلى مجيء المسيح ورؤيته. ومن المعلوم أنّ هذا النشيد تتلوه الكنيسة في كلّ صلاة غروب تقيمها.

ممّا يلفت النظر في الرواية الإنجيليّة أنّ سمعان الشيخ كان ينتظر «تعزية» شعبه. وعبارة «التعزية»، التي كانت منتشرة في فلسطين منذ كاتب سفر إشعيا (١: ٤٠) إلى مجيء السيّد المسيح، تشير إلى مجيء الله في الزمن الأخير، وهي من علامات الزمن المسيحانيّ. والإنجيليّ يوحنّا يطلق لقب «المعزي» على الروح القدس (١٥، ٢٦)، ولكن أيضًا على السيّد المسيح (١يوحنّا ٢:١). يركّز الإنجيليّ لوقا على حضور الروح القدس وفعله في حدث تقدمة المسيح إلى الهيكل، فيذكره ثلاث مرّات، منها أنّ الروح القدس قد أوحى لسمعان أنّه «لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» (٢ :٢٦)، وفي هذا إشارة إلى استمرار النبوءة في ذلك العصر.

إنّ نشيد سمعان الشيخ هو عمل عباديّ طقسيّ وتسبحة شكر لله. فَحَمْل الطفل على ذراعيه ومباركة الله هي أعمال طقسيّة خاصّة بالمناسبة. ثمّ إنّ مفردات النشيد محمّلة رموزًا من العهد القديم، وبخاصّة النصوص المستمدّة من الأنبياء الذين وصفوا الخلاص في الزمن الأخير، كعبارات «رأى الخلاص» و«كلّ جسد يعاين الخلاص» (إشعيا ٤٠: ٥) و«عزّوا، عزّوا شعبي» (إشعيا ٤٠ :١)، وعبارة «نور الأمم» (إشعيا ٤٩ :٦). أمّا موضوع «مجد إسرائيل» الذي يتجلّى «للأمم» أو «للوثنيّين»، فيعود أيضًا إلى إشعيا النبيّ الذي قال: «فترى الأمم بِرَّكَ وجميع الملوك مجدك» (٦٢ :٢). ما يمكن أن نستشفّه من نشيد سمعان الشيخ هو أنّ موضوع الخلاص الذي يتجاوز **شعب إسرائيل القديم** إلى **كلّ الأمم**، يجد جذوره عند الأنبياء في العهد القديم. وفي الزمن الذي أتى فيه **السيّد المسيح**، يمثّل سمعان الشيخ الخطّ النبويّ ذاته الذي كان ينتظر أن يعمّ الخلاص كلّ العالم.

يتنبّأ سمعان الشيخ، إذًا، بما سيقوم به المسيح لاحقًا وهو فتح باب الخلاص للناس كافّة. لقد رأى النبيّ بعينيه ما وعد الربّ به شعبه، ولذلك رأى ما كان ينتظره، فصار بإمكانه أن يرنّم: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ». هنا، الموت يتّسم بالسلام، لأنّ الخلاص قد أتى ولن يملك الموت إلى الأبد. ويندرج حضور حنّة ابنة فانوئيل في الإطار ذاته، فهي «نبيّة» (لوقا ٢: ٣٦)، ووجود النبيّات في التاريخ القديم أمرٌ مألوفٌ، وهي أيضًا سبّحت الله وحمدته لأنّها رأت مسيح الربّ، «وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ» (لو٢:٣٨). سمعان وحنّة الشيخان يرمزان إلى ذلك الشعب الذي عاش أحداث العهد القديم وملاحمه، فقط من أجل أن يروا مجد الله محقّقًا **بمجيء المسيح**.

يسرد لنا الإنجيليّ لوقا حدث التقدمة ويربطه بالهيكل واكتمال النبوءات المتعلّقة بمجيء المسيح. فلوقا انطلق من واقع الحدث ليمدّه إلى الزمن الأخير، مرورًا بالهيكل والطقوس الدينيّة. لذا، **يكون المسيح الهيكل الحقيقيّ والكاهن الوحيد والذبيحة**. رسالة التقدمة تتلخّص في أنّ **المسيح** بتقدمته إلى الهيكل **أنهى وظيفة الهيكل القديم** ليصير هو **الهيكل الوحيد**. لم يعد الانضمام إلى الهيكل نتيجة وراثة جسديّة يأخذها الابن عن أبيه وأمّه، بل أضحى الانتماء إلى الهيكل انتماءً **إلى المسيح نفسه**، إلى جسده، إلى الكنيسة التي تضمّ كلّ الأعراق والأمم.

يقول **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم**، في عظة له لمناسبة تقدمة المسيح إلى الهيكل: «إنّ من واجب كلّ مسيحيّ أن يصير سمعان آخر يحمل يسوع على ذراعيه ويقدّمه للعالم، وبهذا فقط ينبغي أن يفرح الإنسان: «إذا أراد الإنسان الانعتاق من كلّ عبوديّة، فعليه أن يحمل المسيح بين ذراعيه (كسمعان الشيخ) ويضمّه إلى صدره، وقبل كلّ شيء أن يحمل المسيح في قلبه، وحينئذ فقط يفرح ويذهب إلى حيث يرغب قلبه». ويتابع الذهبيّ الفم حاثًّا الإنسان على الاجتهاد بأن «يكون الروح مرشدك وقائدًا لك للدخول إلى هيكل الربّ، الهيكل المصنوع بحجارة حيّة، أي الكنيسة».

القدّيس البار أفثيميوس الكبير

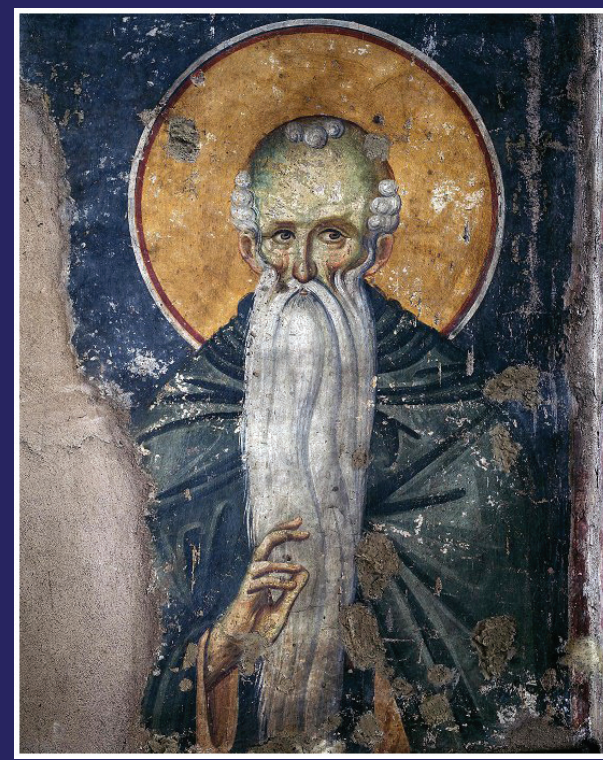

الكاتب

كتب سيرة **القديس البار أفثيميوس الكبير** أحد تلامذة **القدّيس سابا**، الراهب كيرللس البيساني (سكيثوبوليس)، بناء لطلب **القديس يوحنا الهدوئي** (٨ كانون الثاني) وإثر معاينته القدّيسين **أفثيموس وسابا** في رؤيا وتلقّيه العون والبركة من **القديس أفثيميوس**، على ما روى. أخذ الورق وجلس فلم يُؤتَ الكتابة. كانت الساعة الثانية، أو الثامنة صباحًا حسب ترتيبنا اليوم. فجأة أتاه القدّيسان في رؤيا متجلببين بالجلباب عينه، فقال سابا لأفثيميوس:«هوذا كيرللس يمسك بالدُّرج ولم يباشر الكتابة بعد!». فأجابه أفثيميوس:«أنّى له أن يُتمّ واجبًا كهذا ولم تنزل عليه نعمة إلهية ترشد خُطَاهُ؟» فأردف سابا:«هبه أنت نعمة، كهذه، أيها الأب القدّيس!» فجعل أفثيميوس يده في حضنه وأخرج إناء مرمريًا فضيًا ناعمًا وغمس فيه أداة في طرفها ريشة ثلاث مرّات ومدّها إلى كيرللس. فبدت في فمه سائلًا كزيت الزيتون، مذاقه من الحلاوة بحيث لو شُبِّه بالعسل لبخس العَسَل حقّه. ثم صحا وكانت نكهة السائل بعد في فمه، وإذ امتلأ من مسرّة الله باشر بكتابة السيرة.

مولود العقر

ولد **أفثيميوس** قرابة العام ٣٧٧ م في ملاطية الأرمنية، قريبًا من نهر الفرات، زمن **الأمبراطور غراتيانوس**. اسم أبيه بولس واسم أمه ديونيسيا. كلاهما كان بارًا وفاضلًا. لكنهما أقاما مكتئبين سنوات لأنهما كانا من دون ذرّية. وإذ اعتادا التردّد على كنيسة القديس بوليفاكتوس الملاطي (٩ كانون الثاني) دأبا على الابتهال إلى الله أن يمنّ عليهما بثمرة البطن ويسكّن لوعتهما. فقُبلت طلبتهما وأنعم عليهما الرب الإله بمولود ذكر أسمياه افثيميوس اي المسرّة. هذا نذراه لله من قبل أن يولد. فلما بلغ الثالثة رقد أبوه وقدّمته أمّه للكنيسة نظير حنّة أم صموئيل واقتبلت هي الشموسية.

راهب ومدبّر

قضى أفثيميوس سنوات الفتوّة في عِشْرَة الكتاب المقدّس وأخبار القدّيسين ملتصقًا بأكاكيوس معلّمه، أسقف ملاطية العتيد، خادمًا له، سالكًا في السيرة الملائكية بحرص وانتباه. وقد سامه معلّمه كاهنًا وكلّفه العناية بالأديرة التابعة لأبرشيته.

أحبّ أفثيميوس الهدوء والتردّد على كنيسة القدّيس بوليفاكتوس. فيها اعتاد قضاء سحابة أيامه كلّما وجد إلى ذلك سبيلًا. وكان يترك المدينة مرة في السنة، بعد الظهور الإلهي، ليعتزل في بعض الجبال في البرّية إلى عيد الشعانين.

أضنت القدّيسَ مهمّةُ الإشراف على الأديرة فيما اشتاقت نفسه إلى المزيد من الهدوء والسكينة فخرج سرًّا إلى أورشليم وهو في التاسعة والعشرين. همّه كان أن يحجّ إلى هناك وأن يحادث الآباء القدّيسين ويتعلّم منهم. فبعدما تزوّد بأمثلة العديدين ونصائحهم مال إلى مكان يبعد سبعة أميال عن أورشليم، إلى الجهة الشمالية الشرقية، يدعى **فارا** فأقام بقرب عين الماء وأشجار النخيل في هدوء. هناك تعرّف إلى ناسك في الجوار هو القدّيس البار ثيوكتيستوس (٣ أيلول) الذي أضحى وإيّاه كنفس واحدة.

من فارا إلى المغارة

بقي أفثيميوس في فارا خمس سنوات انتقل بعدها ورفيقه إلى صحراء كوتيلا، صوب البحر الميت، ناحية قمران. هناك هداهما الرب الإله إلى مغارة فسيحة كانت ملاذًا للوحوش. فأقاما فيها زمنًا طويلًا يقتاتان من الأعشاب البرّية ولا يباليان بغير الرجاء بالله إلى أن كشف مكانهما رعيان من بيت عنيا.

وسمع بالمجاهِدَيْن رهبان فارا فأخذوا يتردّدون عليهما. فلما ذاع صيتهما وكثر طلاّب الرهبنة عليهما حوّل أفثيميوس الكهف إلى كنيسة وابتنى فوقها لافرا عَهِدَ بعنايتها إلى ثيوكتيستوس. اللافرا، في الأساس، مجموعة قلالٍ للمتوحدين حول مركز يضمّ كنيسة وفرنًا. واستعمال اللفظة فلسطيني أولًا. المتوحّدون كانوا يمضون أيامهم في قلاليهم، إلّا السبت والأحد ليشتركوا في سرّ الشكر ومائدة المحبة وتبادل كلام المنفعة. أما أفثيميوس فآختلى في المغارة وكان يُرشد المقبلين إليه والمعترفين لديه معلّمًا إيّاهم الزهد والطاعة والاتضاع وأن يجعلوا ذكر الموت حيًّا فيهم وَيُحَصِّلُوا طعامهم بتعبهم ويحفظوا الصمت.

البدو

وحدث، في ذلك الزمان، أنه كان لأحد زعماء البدو ابن يدعى **ترافون** عانى من **ضغطة شيطانية** فانشلّ نصفه الأيمن. وأتت الصبيَّ رؤيا قيل له فيها أن يذهب إلى مغارة أفثيميوس الراهب وهو يشفيه. فقام ووالده وَصَحْبُهُ وذهبوا إلى الموضع كما أُشير به إليهم في الرؤيا. فلما وصلوا طالعهم ثيوكتيستوس فأخبروه بما أتوا من أجله وما حدث لهم. وكان أفثيميوس منكفئًا على عادته. فقال **ترافون**:«**لقد التجأت إلى السحرة وأطبّاء العربية وأنفقت مالًا جزيلًا ولم أنتفع شيئًا. فأيقنت أن ما نوليه قيمة لا يعدو كونه حكايات وأوهامًا**». فصلّيت إلى الإله الحقيقي وأخذت على نفسي أن أصير مسيحيًا إنْ بَرِئْتُ. وفيما كنت أصلّي على هذا النحو عاينت شيخًا راهبًا طويل اللحية يسألني عن علّتي فكشفتها له، فقال لي: «لو شُفيتَ لكان عليك أن تتمّم ما وعدت به». فقلت:«أجل يا سيّد! سوف أفعل ذلك!» إذ ذاك كشف لي عن نفسه قائلًا:«أنا أفثيميوس، أقيم في ناحية السيول، على بعد عشرة أميال عن أورشليم، فلو رغبت في أن تُشفى فأتِ إليّ والرب يشفيك». وتابع **ترافون** كلامه قائلًا:«لما علمت أنا بذلك أخبرت والدي، وأتينا إليك». فأدرك ثيوكتيستوس أن في الأمر تدبيرًا إلهيًا فنقل الخبر إلى أفثيميوس الذي خرج من المغارة لِتَوِّهِ وقابل البدو وصلّى على الصبي فأبرأه باسم الرب يسوع.

تعجّب البدو جدًا وآمنوا بالمسيح وطلبوا العماد بيد قدّيس الله. للحال جعل أفثيميوس من زاوية الكهف مكانًا للمعمودية. فاعتمد والد الصبي وَدُعِيَ بطرس وكذلك ماريس، زوج أخته، وكان فهيمًا فاضلًا، ثم ترافون والباقون. وقد علّمهم القدّيس ووعظهم أن يحفظوا التقوى، وصاموا أربعين يومًا، ثم قاموا وارتحلوا إلّا ماريس الذي ترهّب ودخل في طاعة القدّيس. وهو الذي صار، فيما بعد، رئيسًا للافرا. وقد ورد أن العديد من البدو اهتدوا واعتمدوا بفضل بطرس وبركة القدّيس أفثيميوس وتعليمه، وأن بطرس سيم أسقفًا عليهم.

إلى قمة مردان

وتقاطر الناس إلى قدّيس الله من كل صوب وطلب الكثيرون البرء على يديه، فلما اشتدّت وطأتهم غادر موضعه سرًّا لأنه أحب السكون، ورافقه راهب فاضل يدعى دوميتيانوس. وقد قصدا مكانًا بقرب **روبا** وصعدا **قمّة مردان** التي هي **مسعدا** المعروفة في تاريخ بني اسرائيل. هناك وجدا ماء وبعض الخرائب، فأصلحا لنفسيهما كنيسة وأقاما فيها. هناك أيضًا اهتدى الناس إلى أفثيميوس فأخذوا يتردّدون عليه. وإذ شفى، باسم الله، ولدًا **عذّبه الشيطان**، كثر عليه القادمون وابتنوا لأنفسهم ديرًا بعنايته.

إلّا أنَّ أفثيميوس عاد بعد حين إلى الكهف وإلى رهبان اللافرا، لكنه أقام على بُعد ثلاثه أميال منهم وصار يتردّد عليهم بانتظام.

ضيوف ومائدة

في ذلك الزمان تاه أربعمائة من الأرمن نزلوا من أورشليم إلى الأردن فبلغوا لافرا القدّيس أفثيميوس. فلما رآهم المغبوط دعا تلميذه دوميتيانوس وطلب استضافتهم. فأجابه دوميتيانوس:«ولكن، لا طعام لنا ولا ليوم واحد!» فقال له أفثيميوس:«اذهب يا بُنَيَّ وانظر كم تختلف أفكار الناس عن نعمة الله وقدرته!» فخرج دوميتيانوس إلى المخزن. ولما رام فتح الباب لم يقدر. فصاح بآخرين فأتوا وساعدوه. فلما فتحوا الباب وجدوا الخبز في المخزن فائضًا. كل ما يمكن أن يحتاجوا إليه من الطعام كان موجودًا في الداخل: خبز وخمر وزيت وغيره! فعاد دوميتيانوس إلى معلّمه وسجد عند قدميه فأقامه القدّيس قائلًا: «من يزرع بالبركات، فبالبركات أيضًا يحصد!» من يخدم الغرباء ويقبل الفقراء ينفع نفسه بالأكثر، هذا ما يجب أن تفعله إذا ما اشتهيت بركة الله عليك وأن تقوى ما فيه الكفاية في الدهر الحاضر وتنعم بالحياة الأبدية في الدهر الآتي.

عدم الطاعة

وبلغ عدد الرهبان في اللافرا قرابة الخمسين. أحدهم، **أوكسنديوس**، حافظ البهائم، لم يكن مُطيعًا. فنبّهه الإخوة ونبّهه القدّيس فلم يرعو. فقال له القدّيس: سوف تلقى ثمرة عصيانك بعد قليل! وإذا بروح الخوف يستبدّ به لدرجة أن قواه خارت وسقط أرضًا. فأقامه قديس الله وشفاه، بنعمة الله، ووعظه فاتعظ واستقامت قناته.

راهبان يطلبان ترك الدير

مرة أخرى، طلب راهبان، **مارون وكليماتيوس**، ترك الدير. فعرف القدّيس بروحه أن **الشيطان لجم رأسيهما وطلب إسقاطهما**.

فحذّرهما مبيّنًا لهما، بأمثلة عديدة عن الطاعة، أنه إذا أراد أحد ترك مكانه راغبًا في الفضيلة يُخطىء لأن تغيير طريقة الحياة هي التي تخلّص الإنسان لا **تغيير موضعه**. وكما أن الشجرة التي تُقلع وتُزرع من جديد في موضع آخر لا تزدهر كذلك الراهب لا ينجح في حياة الفضيلة إذا أدام التنقّل من موضع إلى آخر. فلم يشأ الراهبان أن يفهما إلى أن سمح الله **بروح رعدة استبدت بهما** فتابا.

جهادات القدّيس

ونقل كيرياكوس الناسك الذي رافق القديس وعرف صرامة عيشه أنه لم يَرَهُ مرّة يأكل أو يتلفّظ بكلمة واحدة، خمسة أيام في الأسبوع، إلّا عند الضرورة القصوى، ولا اعتاد النوم ممدّدًا بل جالسًا أو معلّقًا بحبلٍ في زاوية القلّاية. كان لا ينام إلّا قليلًا وينادي النوم قائلًا: «**هيا، أيها العبد الشرير!**»

كذلك سلك أفثيميوس في خُطى أرسانيوس (٨ أيار)، اعتزالًا واتضاعًا وصمتًا وفقرًا في الملبس وإمساكًا وأسهارًا ونحسَ قَلْبٍ ودموعًا واحتمالًا.

اميليانوس الراهب

أحد إخوة اللافرا واسمه أمليانوس سلك في الفضيلة منذ صباه وكان طاهرًا حكيمًا، **فحسده الشيطان وهاجمه بحرب جسدية رهيبة لم يحتملها**، وإذ مال إلى تلك الأفكار قبلها أخيرًا. فلما خرج القدّيس عند الفجر إلى صلاة السحر مرّ بذلك الأخ فاشتم **رائحة كريهة** تنبعث منه فأدرك أن في الأمر **فخًا من الشيطان** فانتهره. وإذا بالأخ يسقط إلى الأرض، ويتشنّج ويزبد فطلب القدّيس ضوءًا لأن المكان كان مظلمًا وقال للآباء:«انظروا يا إخوة هذا الذي كان منذ الطفولَةِ حكيمًا وفاضلًا كيف هو الآن مغلوبٌ لأفكار النجاسة. انه لأمر مخيف مُبْكٍ! لذلك أقول لكم ليحطم كل واحد منكم أفكاره الشرّيرة ويطردها أولًا بأول، حين لا تكون بعد قوية. أما إذا لَاطَفْنَاهَا ودخلنا في وصال معها وتمتعنا بها، حتى ولو لم نعرف جسدًا فإن النفس تكون قد خطئت، إذ ذاك، كما علّمنا ربّنا، نُدَانُ كزناة يوم تُكشف دواخلنا».

وبعدما نبّه الإخوة إلى ضرورة الحذر والتأمل في خروج النفس على الدوام، صلّى على **أمليانوس** فخرجت منه رائحة نتنة لا تحتمل. وإذا بصوت يقول:«**أنا هو روح الزنى!**».

بعد ذلك عاد أمليانوس إلى صوابه وتأدّب.

القدّاس الإلهي

لما بلغ القديس السادسة والسبعين نزل من **الروبا** إلى اللافرا وخدم سرّ الشكر، القداس الإلهي، وكان سبتًا. بضعة أشخاص كانوا محتفين به كتلميذه دوميتيانوس وترافون البدوي. فلما بلغت الخدمة حدّ الترنيمة المثلثة التقديس، فجأة نزلت نار من السماء وغلّفت القدّيس وتلميذه دوميتيانوس، من تلك اللحظة وإلى نهاية القدّاس

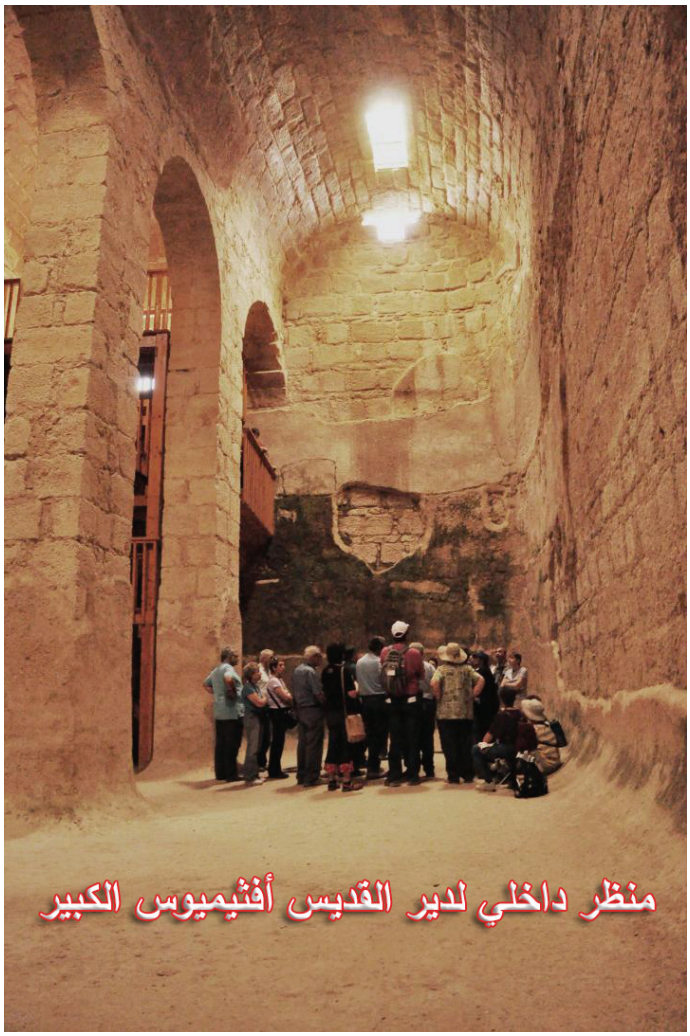
منظر داخلي لدير القديس أفثيميوس الكبير

الإلهي.

كذلك أفاد عارفو القدّيس أن الرب الإله مَنَّ عليه بنعمة خاصة أتاحت له معرفة الجميع، واحدًا واحدًا، من مجرّد منظرهم، كما مرآة. كان يعرف حركات قلوبهم وأهواء نفوسهم يميّز الهوى الذي سقط فيه الأخ، وكذا الأهواء التي لم يتغلّب عليها. من هذا المنطلق، كان ينظر بعض المقبلين إلى الكأس المقدّسة حسني المنظر، ذوي بهاء، فيما كان سواهم مسودًّا، كئيبًا.

وقد لاحظ بعض الإخوة أن ملائكة مخوفين كانوا يأتون إليه في الخدمة الإلهية ويعاونونه كشمامسة.

عن القدّيس سابا

لما بلغ القديس أفثيميوس الثانية والثمانين أتى المغبوط سابا المتقدّس راغبًا في الانضمام إليه، فعرف القدّيس بروحه على أية قامة سوف يكون سابا في حياته. وإذ لم يقبله لصغر سنّه بعث به إلى ثيوكتيستوس قائلًا:«اقبل هذا الشاب وأرشده وَقُدْهُ باهتمام في دروب النسك والرهبنة بدقّة، لأنه يبدو لي سوف يتقدّم تقدّمًا كبيرًا في الحياة النسكية، وسيشعّ على العديدين بإنجازاته الفائقة العجيبة».

وداعية القدّيس

ولمَّا كانت للقدّيس دالة عند الله فقد عرف وَخُبِّر عن خروجه

العتيد إلى ربّه وما سوف يحدث للافرا التي أنشأها بتعبٍ وكَدٍّ. فبعد ثمانية أيام من عيد الظهور الإلهي، اجتمع إليه العديد من الآباء، بعضهم ليودّعه وآخرون ليذهبوا معه إلى الصحراء. كانوا يظنّون أنه سوف يخرج كعادته إلى خلوته السنوية. وإذ لاحظوا أنه لم يعدّ العدّة للذهاب سألوه، فأجابهم:«أنا باق معكم كل هذا الأسبوع، ثم أغادركم يوم السبت في نصف الليل». كلّمهم عن مغادرته لهم لا إلى الصحراء بل إلى ربّه فلم يفطنوا.

بعد ثلاثة أيام، كان عيد القدّيس أنطونيوس الكبير فأمرهم أن يقيموا السهرانة ففعلوا. في نهايتها، دعا الخدّام وقال لهم:«اعلموا هذا، يا إخوة، ان الرب دعاني من هذه الحياة الى الحياة الآتية. فليجتمع الإخوة كلّهم غدًا فأُخبركم كيف تسلكون بعد رحيلي عنكم».

في الصباح، اجتمع الإخوة ففتح فاه وكلّمهم قائلًا:«أيها الآباء والإخوة المحبوبون في الرب، يا أولادي الأعزاء! في ثلاثة أيام أطأ نهاية طريق آبائي. لذا عليكم أن تحفظوا الوصايا التي أستودعكم إيّاها لكي تستبين تقواكم ومحبّتكم لي. أهمّ الفضائل التي عليكم اقتناؤها المحبة التي بدونها لا يمكن لأحد أن يحقّق شيئًا. كل الفضائل تعرف بالمحبة والتواضع. التواضع يرفع الفاضل إلى قمم الإنجاز فيما تعصمه المحبة عن السقوط منها. علينا دائمًا أن نعترف بخطايانا أمام الله...اثبتوا أنقياء في النفس والجسد. احفظوا القانون الذي وضعته لكم وداوموا على التمجيد في اجتماعاتكم. اهتموا بالمتألّمين قدر طاقتكم. على الإخوة القلقين من أفكار فاسدة كريهة أن يعترفوا بها للحال، وأن يصلحهم الآباء الأكثر خبرة بالوعظ والمثال الصالح حتى لا يطيح بهم الشيطان. بهذا أوصيكم فاحفظوه بحرص: لا توصدوا الباب في وجه المقبلين إليكم! ليكن مفتوحًا للمسافرين المنهوكين وللفقراء. ضعوا ما تقتنون في خدمة المحتاجين إذا ما رغبتم إلى الله في أن يزوّدكم بما تحتاجون إليه بوفرة...». ثم ختم القدّيس بالقول:«وأنا إذا أَذِنَ لي الرب فلسوف أسأله أن أكون مع الشركة دائمًا في الروح».

فلما قال هذا صرف الجميع إلّا دوميتيانوس الذي بقي معه ثلاثة أيام. ثم في مساء السبت، كما سبق فخبّر، رقد في سلام بالرب ممتلئًا أيامًا، ستًا وتسعين سنة، كان ذلك في ٢٠ كانون الثاني من السنة ٤٧٣ م.

ملامح القدّيس

كيف بدا القدّيس أفثيميوس لناظره؟

ثمة وَصْفٌ له أورده كيرللس البيساني الراهب. قال: «كان القديس بطبعه لطيف المعشر، موطّد العزم، مليح التقاسم، وَسِيمًا، دائري الوجه، بهج الطلعة، حلو الشمائل، ممدود اللحية إلى وسطه ويزيد. كل ما فيه كان صحيحًا سليمًا. وكان كامل الأعضاء؛ حتى أسنانه لا نقص فيها.»

عجائبه

ينقل كيرللس الراهب للقديس عن تلاميذه عجائب جمّة بينها أشفية وطرد للأرواح الشريرة. من أخباره هذه الحادثة الفريدة التي جرت بعد وفاته. في قرية تدعى **فاران**، إلى الشرق، كان راع اسمه **كيرياكوس** أمّنه جار له فقير على عشر خراف يرعاها. بعد حين عضّت الفقير الحاجة ورغب في بيعها، فلما جاء إلى **كيرياكوس** وطلبها منه لم يعترف إلّا بثمانية واحتفظ لنفسه بخروفين. فتجادلا كثيرًا، ولكن دون جدوى. فقال له الفقير:«إذا كنت مستعدًا أن تقسم عند قبر القديس أفثيميوس فلا بأس عندي إن خسرتها!» فقبل **كرياكوس** العرض. وإذ دنا الإثنان من قبر القديس رأى المُسَاءُ إليه أن **كيرياكوس** على وشك أن يحلف يمينًا كاذبة فخشي الإثم وقال له:«لنعد يا أخي وأنا أعتبر كأنك أقسمت!» فلم يرضَ **كيرياكوس**، وكأن الحق بجانبه، وأصرّ، بوقاحة، ان ينفِّذَ القسم. وإذ اقترب من القبر تجاسر وحلف يمينًا كاذبة، ثم عاد إلى بيته. في تلك الليلة، فيما كان **كيرياكوس** في السرير، بدا له كأن الباب انفتح ودخل راهب في يده عصا ومعه خمسة فتيان. فجأة امتلأ البيت نورًا. كان الراهب هو القديس أفثيميوس بالذات وكان متجهِّم الوجه. وإذا به يصرخ في وجه **كيرياكوس** قائلًا:«ايها البطّال، كيف تجرؤ على حلف يمين كاذبة عند قبر أفثيميوس؟» فخرس **كيرياكوس** ولم يستطع جوابًا. فأمر القديس أربعة من الفتيان أن يضربوه بالسوط والخامس بالعصا قائلًا:«اضربه بكل قوّتك حتى لا يَجرُؤ على إهانة الله مرة أخرى ويقسم قسمًا كاذبًا ويأخذ ما ليس له!» وبعدما ضربوه ما فيه الكفاية أوقفهم القدّيس وقال للمفتري:«ألم تعلم، أيها الأثيم، أن هناك إلهًا يدين الأرض بالعدل؟ وهو يجعل هذا العقاب عليك، لا لخيرك، لأنك غدًا تموت وآخرون يأخذون ما جمعته بغير حق، بل لإصلاح سواك، حتى يفرّوا من خطر القسم الكاذب ويجتنبوا حتى القسم بحق!» قال القدّيس هذا وانصرف. كانت آلام **كيرياكوس** لا تطاق. وإذ صرخ اجتمع عليه الجيران فأراهم جراحه واعترف بأنه أقسم يمينًا كاذبة. ثم رجاهم أن يأخذوه إلى قبر القدّيس ليسترحم لديه. فلمّا أحاطوا به خافوا أن يلمسوه من كثرة جراحه. فاحضروا كيسين من القش ووضعوه بينهما وأخذوه إلى الدير وأخبروا بما جرى. وجميع الذين سمعوا انتابتهم القشعريرة وخافوا خوفًا عظيمًا. فلم يعد أحد يجرؤ، مذ ذاك، على حلف يمين، صادقة كانت أو كاذبة. وبعد يومين ساءت حال **كيرياكوس** وانفتحت معدته وكان يتقيأ باستمرار فجاء أقرباؤه وأخذوه إلى البيت، وفي اليوم الثالث **مات**.

ملحوظة: تذكر **القديس أفثيميوس الكبير** اليوم كل الكنيسة في الشرق والغرب.

المرجع:

الأرشمندريت توما (بيطار) (١٩٩٧)، لبنان ، سِيَرُ القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار) – الجزء الثاني، عائلة الثالوث القدوس – دير القديس يوحنا المعمدان – دوما

محبة الذات

حسب القديس يوحنا السلمي، ومكسيموس المعترف، ونيكيتا ستيثاتوس وايسيخيوس الكاهن

الميتروبوليت بيروثيوس فلاخوس

أحد **الأهواء الرئيسية التي تسود على الإنسان هي محبة الذات**. كما سنرى فيما يلي، **محبة الذات** هي أمّ مرضِعة لكل الأهواء والرذائل.

قال السيد المسيح مشيرًا لمحبتنا لذواتنا تلك: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو١٢: ٢٥). الكلمة المترجمة «حياة» تعني أيضاً «نفس». إنها حقيقة أن أيًا من يحب حياته وذاته لدرجة مبالغ فيها يهلك تمامًا. عندما يصف القديس بولس الأهواء التي سوف تميز الناس في الأزمنة الأخيرة فإنه يذكر **محبة الذات** من بينها، بل أنه يضعها في أول القائمة: «وَلكِنِ اعْلَمْ هذَا أَنَّهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ،لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ دَنِسِينَ» (٢تي٣: ١-٢).

هذان المرجعان من الكتاب المقدس كافيان في حدّ ذاتهما لإظهار الضرر الكبير الذي يسببه **هوى محبة الذات للجنس البشري**. سوف أحاول الآن وصف محبة الذات، وتحليلها لكي أحدد نتائجها الأليمة، ولكي نرى في النهاية كيف يمكن أن نتحرَّر منها.

١- ما هي محبة الذات

محبة الذات هي محبة عظيمة وطاغية لذواتنا. بحسب **القديس نيكيتا ستيثاتوس**، محبة الذات هي «حُب مجنون للجسد يجعل الراهب محبًا لنفسه، أي لنفسه وجسده». إنها تغرّبه عن ملكوت الله، وعن الله نفسه. لو أن أحدًا أحب جسده بطريقة زائدة وحصرية، متجاهلاً الله وأخاه الإنسان تمامًا، فإننا نقول أنه يحب ذاته ويعاني من هوى محبة الذات. يقول **القديس مكسيموس المعترف**: «محبة الذات هي هوى التعلق بالجسد». يشير نفس القديس في موضع آخر لهذا الهوى على أنه «محبة مجنونة للجسد».

نستطيع أن نقول بوجه عام مع القديس مكسيموس أن محبة الذات هي «محبة شهوانية مجنونة للجسد، وعكسها هي المحبة وضبط النفس». تضاد **محبة الذات المحبة وضبط النفس**، تمامًا كما تضاد المحبة وضبط النفس محبة الذات. من الواضح أننا لا نعني بمحبة الذات الاعتناء بالجسد في إطار طبيعي، لكننا نعني **الاهتمام الزائد الشهواني** بكل من الجسد والنفس.

يكتب القديس مكسيموس محلِّلًا السِّمات المميزة لمحبة الذات قائلًا: أن هوى محبة الذات «يقترح على الراهب أنه ينبغي عليه أن يشفق على جسده، وأنه ينبغي عليه تحت مسمى رعايته بشكل مناسب أن يأخذ طعامًا أكثر من المعتاد». هكذا، قليلًا قليلًا، يسقطه في فخ الانغماس في الملذات في حين أنه يجعل العائشين في العالم «يُشبعون احتياجات الجسد دفعة واحدة». يحثنا هوى محبة الذات على أن نبالغ بالاستمتاع بالطعام والملذات الأخرى والراحة واليسر، وأن نشبع الشهوات الأخرى المتنوعة. يجعلنا هوى محبة الذات نفضل «راحة الجسد على آلام الفضيلة»، ويجعلنا نكف عن أن نضع على أنفسنا بإرادتنا أعمالًا متنوعة «خصوصًا من جهة الجهادات الخفيفة المتعلقة بممارسة الوصايا». من ثم يجعل النفس متباطئة ومتراخية من جهة السلوك في طريق الهدوئية، كما يقول القديس غريغوريوس السينائي. لا شيء يجعل نفوس المجاهدين في النسك «متباطئة ومهملة وغافلة» مثل هوى محبة الذات. هكذا يصف القديس نيكيتا ستيثاتوس أيضًا محبة الذات على أنها «**خبيثة**»، مشيرًا إليها على أنها «**رذيلة محبة الذات الخبيثة**».

المثال الدقيق على شخص يحب ذاته هو **الغني الغبي** في مَثَل السيدِ المسيح. لقد كان يفكر في بناء مخازن جديدة لكي يجمع فيها كل خيراته ثم يقول لنفسه: « يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي!» (لو١٢: ١٩). لم يكن الرجل الأناني مهتمًا بالمرة بشفاء نفسه أو بمجد الله، ولا بخدمة إخوته. لقد كان مهتمًا تمامًا بنفسه، وبنفسه فقط.

كل ما قيل حتى الآن لوصف هوى محبة الذات يقودنا إلى فحص نتائجه الأليمة.

٢- نتائج هوى محبة الذات

يرى القديس نيكيتا ستيثاتوس أن محبة الذات هي «عقبة أمام تقدم أولئك المتقدمين جيدًا». إنها تمنع الناس من تكريس ذواتهم لممارسة وصايا المسيح. «إنها توحي لهم بأمراض وعلل جسدية خبيثة، وبالتالي تتضاءل غيرتهم ويقتنعون بالتخلي عن جهادهم الروحي على أساس أنه يشكل خطرًا على حالتهم الضعيفة». بكلمات أخرى، من خلال خلق أفكار عن الأمراض المختلفة، تكف النفس عن جهادها النسكي لكي تحفظ وصايا المسيح ولكي تُشفى من الأهواء المختلفة التي تزعجها. بالتالي تكون محبة الذات، كما يقول **القديس يوحنا**

السلمي، حجابًا. إنها لا تمنع النفس من تحقيق شفائها وحَسْب، لكنها أيضًا تخفي الأهواء الموجودة داخلها. لا يريد الشخص الأناني أن يرى نفسه. إنه لا يريد أن يكون واعيًا لفقره الروحي.

يسمي **القديس مكسيموس محبة الذات أمّ كل الرذائل**، لأنها تلد «**الأفكار الثلاثة الأولى والأكثر عمومية التي للشهوة والغضب**». هذه الأفكار الثلاثة هي **النهم، والبخل، وتقدير الذات**. يرى نفس الأب أن محبة الذات هي **أم الثرثرة واشتهاء الأطعمة اللذيذة التي تسبب الإباحية**، وهي أيضًا **أم البخل والكبرياء**. بوجه عام، لو كان لدى المرء محبة للذات «فمن الواضح أن لديه كل الأهواء».

«ليست محبة الذات أم الأهواء فقط، ولكنها أيضًا أم لكل الأفكار الشهوانية. يتولد فكر النجاسة من فكر النهم. يجبل فكر تقدير الذات بفكر العُجب. تنبع من أفكار النهم والبخل وتقدير الذات كل الأفكار الأخرى كالغضب، والحزن، والامتعاض، والحسد، والنميمة الخبيثة وما إلى ذلك. تُولَد كل هذه الأفكار من محبة الذات» (القديس مكسيموس).

يعلِّم **القديس إيسيخيوس الكاهن** أنه لا يوجد شر أعظم من محبة الذات. محبة الذات هي أم تلد أطفالًا كثيرين. أطفال محبة الذات هي «**العُجب، الرضا عن النفس، النَّهَمُ، النجاسة، تقدير الذات، الغيرة، ورأس كل هذه هو الكبرياء**».

محبة الذات هي حجاب يغطي النفس، «بحيث أنه لا يمكن أن تتكشف فيها أسس العالم، أي الجواهر الداخلية للأشياء»، وذلك بحسب قول **إيليا الكاهن**. يكون الشخص الأناني أعمى تمامًا حيث أنه لا يستطيع رؤية القوة التي يوجه بها الله العالم والتاريخ. حيث أن الشخص الذي يحب ذاته لا يستطيع أن يتجاوز ذاته فيرى الله والآخرين، فإنه يكره كُلًّا من **الإنسان والله**. هذا هو السبب الذي يجعل القديس مكسيموس يأمر قائلًا: «كُفَّ عن إرضاء ذاتك فلا تكره إخوتك من البشر؛ كُفَّ عن محبة ذاتك فتحب الله».

٣- شفاء محبة الذات

يحتاج الإنسان أن يتحرر من هذا الهوى الرهيب الذي «**للمحبة الخبيثة للذات**». متى تصرف بطريقة تزيل حجاب محبة الذات ورأى بوضوح الأهواء الخفية المترعرعة، فإنه سينتحب بمرارة وستصبح كل حياته غير كافية للتوبة حتى لو عاش مئات السنين، ولو تدفقت الدموع من عينيه مثل نهر الأردن. «إنه لن يهتم بشيء آخر في هذه الحياة، معتبرًا أن ليس لديه الوقت الكافي لكي يبكي على نفسه، حتى لو كان سيعيش مئات السنين، وحتى لو رأى دموعًا تنفجر من عينيه مثل نهر الأردن بكامله» (القديس يوحنا السلمي).

يكمن الشفاء في اصطياد محبة الذات أينما وجدت. الطرق الرئيسية لتحقيق ذلك هي كالتالي:

ينبغي علينا أن نستسلم بالكامل لإنكار الذات. ينبغي علينا أن نكون مستعدين لتقديم أي نوع من التضحية، وأن نخضع بإرادتنا لأي نوع من الحرمان بهدف حفظ وصايا المسيح. يقدم لنا بولس الرسول دافعًا لكي نفعل ذلك عندما يقول: «وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.» (أع ٢٠:٢٤). ينبغي على المسيحي لكي يُشفى من محبة الذات، وبالتالي من كل الأهواء المرتبطة بها، أن يكون مستعدًا لأي تضحية. ينبغي عليه أن يعمل عكس ما تمليه محبة الذات والأهواء العديدة الناتجة عنها. إنه يحتاج لضبط النفس في كل ما يعمله.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي على النوس أن يلجأ إلى الله. يتأتى ذلك من خلال الصلاة وكامل المنهج العلاجي في التقليد الأرثوذكسي. عندما يتذوق نَوْسُنا حلاوة محبة الله، فإننا نتحرّر من هوى محبة الذات، ونجد شجاعة لكي نحفظ ناموس الله ولكي نراعي مشيئة الله في حياتنا.

ينبغي علينا أن نبذل مجهودًا لكي نظهر المحبة نحو الآخرين من الناس. حيث أن محبة الذات تجعلنا ننغلق على أنفسنا، فإننا نحتاج لأن ننفتح على إخوتنا. من أجل ذلك، ينبغي علينا أن نضحي تمامًا بأي شيء يجلب لنا الارتياح والراحة الجسدية. لقد عبَّر القديسون عن هذا الحب الباذل في حياتهم، حيث أنهم فضلوا خلاص الآخرين على خلاصهم. لا ينبغي إظهار هذه المحبة من خلال عطايا المال فقط، لكن «بالأكثر من خلال إعطاء المشورة الروحية والاعتناء بالناس في حاجاتهم الجسدية» (القديس مكسيموس).

بوجه عام، ينبغي أن ينمو إنكار الذات المقدس. فكلما أنكرنا ذواتنا نتحرر من **محبة الذات**، ويتّسع أفقنا الروحي. لقد علَّم السيد المسيح قائلًا: «مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يو ١٢:٢٥). في نص آخر يعلن السيد المسيح ويطلب أيضًا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لو ١٤:٢٦). هذا الإنكار المقدس الذي يجب أن يترسّخ فينا يظهر بصورة رئيسية من خلال التوبة. فالتوبة الحارّة المستمرة سوف تمنعنا من أن نحب أنفسنا برغباتنا الشريرة وأهوائنا الساقطة. تجعلنا التوبة نقسو على أنفسنا بحيث نرضي الله ونتبع مشيئته. من قواعد الحياة الروحية أننا كلما أحببنا ذواتنا كرهنا الله، وكلما كرهنا ذواتنا أحببنا الله.

ينبغي علينا أن نتحرر من «**محبة الذات الخبيثة**». للأسف، نحن نلاحظ أن كل طريقة الحياة محكومة بهذا الهوى. **المسيحيون واقعون بشدة في قبضته حتى أنهم لا يعيشون حياة المحبة. نحن مسيحيون، ومع ذلك لا نُحب. تنقصنا السمة المميزة لتلاميذ المسيح لأننا أنانيون، ذاتيون، منفردون**. ينبغي أن توجه كل جهودنا نحو التخلص من حجاب محبة الذات الذي يمنعنا من أن نصبح أشخاصًا وبالتالي أعضاءَ حقيقيين في كنيسة المسيح ومواطنين في ملكوت السموات.

القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم والرهبنة

من المعروف أنّ **القدّيس يوحنّا** وهو في سنّ الحادية والعشرين، وبعد إنهاء دراسته في فنّ الخطابة واللاّهوت، أقام أربع سنوات قرب شيخ ناسك في أحد الجبال ليس بعيدًا عن أنطاكية. وبعد هذه السنوات الأربع، وتتلمذه على هذا الشيخ، الذي تلقّف من فمه المقدّس أسس الحياة الرهبانيّة، بقي وحده ناسكًا سنتين في إحدى المغاور.

أحبّ يوحنّا الثاوريا والحياة النسكيّة محبّة جمّة، حتّى إنّه، وبسبب مبالغته في النسك، مرض، ورافقه هذا المرض في كلّ حياته الاستشهاديّة المقدّسة.

ومن الأمور المؤثّرة أنّ القدّيس يوحنّا كان تلميذًا لشيخ سوريّ، ومع أنّنا لا نعرف شيئًا عن هذا الشيخ الناسك، ولكنّه، ولكونه سوريًّا، يذكّرنا بالقدّيس إسحق السوريّ، الذي فتح باب الحياة الهدوئيّة على مصراعيه للأجيال التي أتت بعده، مُطْلِعًا إيّاها على دقائق السيرة الرهبانيّة، وعلى أسرار الحياة السماويّة التي بات عيشها ممكنًا لسكّان الأرض. ويقول القدّيس إسحق، صاحب الخبرة الواسعة النطاق في هذا المجال، بأنّه عندما يترك **اللهُ** البشرَ يتذوّقون لحظات من الثاوريا وحلول النعمة التي تسمو بهم فوق أمور العالم، لا بدّ، عندئذ، أن يطرق الجميع باب البريّة.

وعلى السؤال ما هي الرهبنة، وكيف نتعرّف إليها؟ يأتينا الجواب واضحًا من مثال **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم**، أيْ يجب أن يكون لديك معلّمٌ صالحٌ ومختبِرٌ حرٌ بالروح وحارٌ بالمحبّة الإلهيّة. هذا هو المتوحّد المتواضع الذي بإمكانه أن يلدك روحيًّا لتحيا مع جميع القدّيسين في قلب الكنيسة، ويلقّنك التعليم الصحيح، ويقودك إلى المسيح، فيما يكون هو نفسه قد بلغ الحدّ الأقصى من ذلك.

إنّ أمثال هؤلاء المعلّمين يجعلونك تدرك، وبسرعة، أنّ الرهبنة هي غَصْبٌ للطبيعة، وقتل للأهواء، وليس قتلًا للطبيعة. فالراهب لا ينشغل بأيّ موضوع خارج عن نفسه كالعلم أو الفنّ أو المهنة أو... أو... كما لا ينشغل بتنظيف أيّ حقل خلا حقل نفسه، ولا يحاول أن يحرث هذا الحقل إلّا بما يتوافق والتوبة والنسك، مقدّمًا ذاته كلّها للمسيح.

يبدأ الجهاد، ويدخل الراهب في البرنامج اليوميّ: الخدم الكنسيّة، والمطالعة، والقانون الشخصيّ في القلاّية، والعمل اليدويّ بالإضافة إلى أعمال الدير اليوميّة. في كلّ هذا لا يطلب المتوحّد إلّا أمرًا واحدًا، **وهو إتمام مشيئة الله لا مشيئته**. ثمّ هناك، أيضًا، البوح بالأفكار، وهو أمر يتطلّب من الراهب استقامة وأمانة مع نفسه ومع الله ومع شيخه. كما لا ننسى التجارب والضيقات التي تعصف به بسبب الضعف البشريّ، روحيًّا كان أو جسديًّا، أو بسبب الحروب الشيطانيّة.

يسعى الراهب لاقتناء التمييز، الذي به يستطيع تحديد سبب محارباته أَهِيَ **افتقاد إلهيّ**، أو **خبث شيطانيّ**، أو **تمرّد لشهوات الجسد وأهوائه**. بيد أنّ الراهب، في عراكه هذا، لا يجابه بمفرده، وإنّما يقف شيخه إلى جانبه يسنده ويشجّعه من جهة، وصلوات النسّاك الآخرين الدعم الثاني والقويّ له من جهة أخرى. وإن ثابر الراهب في تتميم المشيئة الإلهيّة، متيقّنًا بأنّ الله صالح وكلّيّ القدرة، يكون، عندئذ، قد وضع رجله في السكّة الصحيحة، مبتدئًا حياة جديدة تنبثق من داخله، يشعر فيها بقوّة جديدة تحفّزه للسير قُدمًا في معركته المقدّسة. وعندئذ يتحوّل ضعفه إلى قوّة، وينبع من جراحه إحساس مرهف بالخطيئة، ورقّة شعور ورأفة نحو الآخرين.

يبدأ الراهب جهاده بتحرّره من أفكاره الطفوليّة، وهكذا، شيئًا فشيئًا، تتوقّد فيه حرارة الإيمان، ويجتاز الجهل والشرّ، وتضعف الأهواء، وتبدأ الفضيلة بالإزهار، ويختبر مواقف جديدة تؤول به إلى النضوج الروحيّ، ويحسّ بأنّ أمرًا ما جديدًا قد جرى داخله لا علاقة له بمحاولاته وجهاده، ولكنّه عطيّة مجّانيّة من النعمة الإلهيّة. في هذه المرحلة الجديدة لا يقوم الراهب بأيّ مجهود شخصيّ، بل بالأحرى يتذوّق السماويّات أكثر فأكثر، ويشعر بتقدّمه في الحياة الروحيّة حيث كلّ شيء يعبر من دون عناء بالصلاة.

وفي نهاية المطاف، يصل الراهب إلى مرحلة متقدّمة جدًّا، إذ يدخل في غبطة المجد العلويّ، فتسكن نفسه، ويخيّم عليها صمت وهدوء داخليّان، وبتعبير آخر يصبح بحالة صلاة دائمة. ونستطيع القول بأنّ الراهب، بعد تحرّره، يصل إلى حالة من التجلّي، إذ يتبدّل كلّ شيء في حياته ويتحوّل إلهيًّا: تصير له قوّة أخرى، ويخلع عنه كلّ رأي خاصّ، ويعود لا يقود نفسه بنفسه، بل تقوده الروح نحو المعرفة الحقيقيّة التي تصل به إلى الحرّيّة، حرّيّة أبناء الله. نعم، لقد تغيّر فيه كلّ شيء.

المتواضع الحقيقيّ هو الإنسان غير الموجود بالنسبة لهذا العالم المخلوق والفاني، فهو له وجود آخر، وجود في النعمة الإلهيّة.

إنّ الذين توصّلوا إلى هذه الدرجة من النعمة، وتجاوزوا حدود الطبيعة هم قليلون. وغبطة المجتمع البشريّ لو حظي ببركة وجود واحد، فقط، نظيرهم في كلّ جيل، إذ إنّ وجودهم هو بركة للجميع.

ولكن، ولكي يتجاوز الراهب هذه الحدود، عليه أن يكون ذا طبيعة صالحة رقيقًا منسحقًا، لأنّ هذا الانسحاق يقوده إلى الخضوع خضوعًا كلّيًّا لمشيئة الله. وعندئذ لا تعود حياته تخضع لقواعد ورغبات بشريّة، بل تسير وفق الإرادة الإلهيّة.

الحياة في مجملها هي سرّ! فعندما نقرأ في الكتاب المقدّس بأنّ الله «يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ. فَسَتَقُولُ لِي:«لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟» (رو٩: ١٨-١٩) ندرك بأنّه علينا أن نقبل كلّ ما يصادفنا بشكر وعرفان جميل، لأنّ الربّ يدبّر كلّ شيء بحكمة، ومن البديهيّ القول إنّنا لا نصل إلى هذا إلّا بعد تعب وصبر جزيلين.

قد يستطيع جهاد يوم واحد، من الصباح حتّى المساء، أن يصل بالراهب المجاهد، إلى هذه الدرجة الإلهيّة، وقد يجلس راهب آخر مئات السنين في قلاّيته، غير قادر على إدراك هذا القول. ولكنّ الله ليس بظالم، لأنّ النجاح في الجهاد لا يفرّق بين الأشخاص، بل يوحّدهم. ففوز الواحد، الحقيقيّ لا الوهميّ، هو فوز الجميع. النجاح والتعزية والرجاء لا يتمتّع بها الراهب وحده فقط، بل يشترك بها الفاشلون، رغم محاولاتهم، والذين لا علاقة له بهم، بل والغرباء أيضًا.

وأمّا إن كان النجاح في الحياة الروحيّة، أو التقدّم في النقاوة والفضيلة سببًا لتكبّر الراهب واستعلائه على الآخرين، فإنّه يسبّب لنفسه السقوط وفقدان كلّ برٍّ وصلاح. فالهدف من النسك هو أن يصل الراهب إلى التواضع الذي يقوده إلى الحرّية الداخليّة الفردوسيّة، ويُؤاخيه مع الجميع.

فَأَحْبِبِ ٱلربّ، إذًا، وَتَحَسَّسْ حضوره الإلهيّ، ومحبّته التي لا تقاس، والتي جعلت كلمة الله أن يصير إلى ما ليس هو عليه لكي يخلّصك. لقد تواضع الربّ، بل بلغ التواضع الأقصى، هذا التواضع الذي كان يخفي وراءه مجده ومحبّته اللذين لا يُعبَّر عنهما. **أحبب المصلوب** الذي ضَحَّى من أجل حياة العالم وخلاصه. **إعْشَقْ هذا الصليب**، وهذه التضحية، من دون ملل ولا كلل، وردّد مع **القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ** «ولي شهوة أن أُصلب». أَحْبِبِ التواضع حتّى درجة الإخلاء الذاتيّ، وعندها سوف تفقد نفسك لتجدها بحسب القول الإنجيليّ. لا تشته أمرًا بشريًّا، وسوف تُعْطَاهُ مجّانًا. لقد طلب **الأب بمفو** ألّا يتمجّد على هذه الأرض، فأشرق وجهه ساعة موته بلمعان لم يستطع أحد أن يتحمّله. **والأب سيصوي** حَسِب نفسه تحت الخليقة كلّها، فربح كلّ ما هو سماويّ حتّى بات مشاركًا لجوق الملائكة. قدَّمَ كلّ شيء لله محبّة بالله، فأعاد له الله كلّ شيء مباركًا ومقدَّسًا. عاد فأعطى، وعاد الله أيضًا، وأغدق عليه بعطاياه. قضى كلّ حياته يعطي، معتبرًا أنّ السرّ الأوّل والأخير للحياة هو محبّة العطاء والتضحية، والله أخذ، بدوره، يفيض عليه بركاته.

هكذا هو الراهب المتواضع غير الموجود بالنسبة للعالم المادّيّ، موجود هو بطريقة أخرى خفيّة بالنسبة لله وللعالم أجمع.

البرّيّة هي المدرسة اللاّهوتيّة للكنيسة، إنّها مدرسة الفلسفة الحقيقيّة التي اغترف منها الآباء علمهم. البرّيّة هي رحم الروح القدس الذي يلد للكنيسة أناسًا جددًا.

لا وجود للراهب خارج الكنيسة، ولا خارج الحياة، ولا هو بعيد عن آلام العالم، بل هو موجود في قلب الكنيسة، وقلب العالم. فالرهبنة خُلقت وحُفظت وعملت داخل جسم الكنيسة. إنّها نتيجة **التدبير الإلهيّ، وتجسّد كلمة الله**.

يعيش الراهب ويجاهد لكي يصل، بعد مروره بجسمانيّته الخاصّة، لأن يقول: «لتكن مشيئتك»، وعندها يهيمن داخله على السلام والشكر ورهافة الحسّ. إنّه دائم الولادة، لأنّه دائم التضحية ودائم الموت. هو مولود أبدًا ومحتضر أبدًا. هو موجود، دائمًا، بين يدي محبّة الله اللّامنظور. لا اختلاف، بالنسبة إليه، بين النفس والجسد، ولا بين التحرّك والتوقّف، ولا بين السكون والنشاط، بل هو ينشد قائلًا: «قدّوس واحد وربّ واحد يسوع المسيح، الذي هو الكلّ في الكلّ.» وهذا ما يعظ به المتوحّدون الحقيقيّون بصمتهم، بل وبمجرّد حضورهم فقط.

تتحقّق رسالة الرهبان داخل جسم الكنيسة، لا بل داخل الخليقة كلّها. رسالتهم هي تقبّل ملء النعمة بانسحاق وتواضع، ليصبح وجودهم تمجيدًا صامتًا لله. إنّهم يعملون بصمت في جسد الكنيسة، ولا يحتاجون لأن ينظرهم أحد، لأنّ مجرّد وجودهم يساعد الجسد برمّته ويسنده. وأخيرًا الرهبان هم شهود لله، وظهور سرّيّ لمحبّته المحتجز وصفها.

يُؤْثِرُ الراهب **التواضع بالكبرياء** لكي يرتفع الآخرون، ويسعى إلى التخفّي وعدم الوجود لكي يُوْجَدَ الآخرون. إنّه جمرة غير ماديّة تدفئك وتندّيك في آن إن كنت قريبًا منها أو بعيدًا عنها. إنّه يقظ دائمًا لما يحتاجه الآخرون لكي يعيشوا ويتقدّموا. الراهب متوحّد وحيد، ولكنّه يحيا مع الجميع، وله رسالة خفيّة، ولكنّ نتائجها ظاهرة للعيان.

الرهبان الحقيقيّون الذين نجحوا في الوصول إلى هدفهم وتجاوزوا حدود الطبيعة هم قليلون. وهذه القلّة لا تحصى، لأنّها لا تخضع للعدد، إذ إنّها غير محصورة حسّيًّا. لقد تحرّرت، بتواضعها، من القيود الدنيويّة، وبتحرّرها هذا استطاعت أن تقدّم الكلّ لمنفعة الكلّ. وهذه القلّة هي نموذج الراهب الحقيقيّ والإنسان الحقيقيّ. إنّها تعيش، وتوجَد، لأجل الآخرين، وتصوّر الربّ القائم، والمُقِيمَ معه المسكونة كلّها.

وهكذا، فعندما يوجَد الراهب في هذه الحالة من التجدّد الدائم، يبقى منفصلًا عن الجميع ومتّحدًا بالجميع حسب تعبير **إفاغريوس البنطيّ**، وموجود في كلّ مكان، وغير موجود في آن على حدّ قول **القدّيس أفرام السوريّ**.

ولقد حصل **القدّيس الذهبيّ الفم** على هذه النعمة، ونقلها إلى العالم بطريقته الخاصّة وأقواله الخاصّة.

فأنت، بالطبع، لن تسكر ما لم تشرب النبيذ. ولا تستطيع أن تستدفئ ما لم تقرب مِنَ النار، ولا أن تحترق ما لم تصل إليك النار بكلّيّتك. هكذا الراهب، لا يستطيع أن يصبح راهبًا ما لم يصبح

بجملته نارًا تلتهب محبّة بالربّ.

أتى **القدّيس يوحنّا** إلى الرهبنة، وعاش بقرب شيخه أربعة أعوام، وبقي بمفرده عامين، وحصل على النار كما حصل عليها الرهبان «جهّال المسيح» وغير الموجودين، وبقي ذاك الراهب الملتهب، ولم يبرح البتّة بعيدًا عن مناخ النعمة والقوة، مناخ حرّيّة الفردوس.

أنّى حلّ الراهب، وحيثما وُجد، فهو باق أبدًا في حالة واحدة، منفصلًا عن الكلّ، ومتّحدًا بالجميع. وهذا ما حصل مع القدّيس الذهبيّ الفم، وتستطيع أن ندركه بوضوح من طريقة كلامه، وكيفيّة شرحه الكتاب المقدّس، ومن أين كان يستمدّ غذاءه الروحيّ، وماذا كان يقدّم للعالم، وكيف أحبّ العالم، وكيف أحبّه العالم. كيف واجه الأمور، وكيف أنهى حياته الاستشهاديّة بقوله: «المجد لله على كلّ شيء».

قول الذهبيّ الفم هذا يُظهر بجلاء خبرة المتوحّد الحقيقيّ الذي يكلّمك بسكون وهدوء، وينقل إليك الفرح والتأكيد بأنّ **الله محبّة** «اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ.» (١يو ٤: ١٦). وهكذا، فالذهبيّ الفم أينما حلّ كان ينقل نعمة البريّة. فهو لم يعبر عبورًا بسيطًا في الرهبنة، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى معترك آخر يختلف اختلافًا كلّيًّا. بل بقي في المناخ الرهبانيّ، والمنطق الرهبانيّ بما فيه من قوّة ومحبّة مميّزين، هذا المناخ جعله، بالنعمة، مكانًا يستقرّ فيه غير الموسوع في مكان، وبوقًا يصدح بالحرّيّة الداخليّة إحدى أبرز ثمار البريّة، وببساطة أبناء الله وطفولتهم، وعمل النعمة التي تجمع المضادّات، وترفض كلّ ما هو خداع وكذب وافتراء.

لقد أصبح الذهبيّ الفم راهبًا، وهذا يعني أنّه جُبل على حبّ السكون والوحدة، فما عادتا تفارقانه البتّة. عاش مع المسيح، وعاش، أيضًا، للآخرين ومع الآخرين. أكسبته الرهبنة منطقًا آخر، منطق تجسيد وصيّة المحبّة الشاملة الذي يرفع الوجود إلى درجة عدم الوجود.

وبما أنّه كان يحيا الحدث بكيانه كلّه، فقد آمن بعمق أنّ الله محبّة، فراح يعظ بها، وينشرها بدويّ الفرح والتعجب اللذين كانا يملآن قلبه، واللذين جعلا منه خطيبًا، بل بالحريّ خطيب اللاّهوت بامتياز.

لا يقدّم فنّانو الكنيسة وقدّيسوها المساعدة بما يخلقون ويبدعون فقط، بل بشذا النعمة الذي يضوع من تواضعهم لا من فضيلتهم وأعمالهم الصالحة وحسب، فهم بتواضعهم هذا يخلّصون البشر، ويقودونهم في طريق التألّه. هذا التواضع الذي يُظهر مدى النقاوة التي اشتملت عليها حياتهم وأعمالهم.

وُلد الذهبيّ الفم في رحم الرهبنة، وداخل الحياة الليتورجيّة التي للكنيسة، ونقل ملء النعمة **بوضعه القدّاس الإلهيّ** الذي يترجم تجلّي العالم كلّه بالروح، ويجعل الحياة كلّها تمجيدًا وتسبيحًا شكريًّا. هذه الليتورجيا التي تحيي الكنيسة، وتغذّي الجميع سواء كانوا رهبانًا في البريّة، أو مؤمنين مجاهدين في المجتمع. وبهذا عُرف الذهبيّ الفم مغذّيًا روحيًّا، ومعلّمًا للرهبان والعلمانيّين على حدّ سواء.

إنّ هدف الصمت لدى الهدوئيّين وعظات الذهبيّ الفم واحد، فهم يصدحون بالشيء نفسه، وينقلون الفرح ذاته، والإيمان الأكيد عينه. إنّهم طروباريّة متشابهة، وترتيلة واحدة لها عمق المحبّة الملائكيّة «كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا.» (يو١٥: ٩). وهكذا يظهر سرّ الحياة الثالوثيّ عندما تعيش المسيح إذ تعلّم بصمتك، وتاليًا تنقل سكون البريّة وهدوءها. فالرهبان والوعّاظ يغتذون من نبع واحد، ويحيون بالقوّة نفسها، وينقلون النعمة ذاتها، ويجسّدون، بتعليمهم، حقيقة واحدة هي حقيقة اتّحاد طبيعتيّ المسيح.

ففي الكنيسة الأرثوذكسيّة يجد المتوحّد نفسه، بعد انفصاله عن العالم، واحدًا مع كلّ إخوته يشدّدهم ويسندهم. والذهبيّ الفم عاش الهدوئيّة التي أكسبته نقاوة الذهن، فعاد وعاش في العالم بعد أن تحرّر داخليًّا من صخب العالم. فالهادئ، بوجوده، يعلّمك كيف تعيش في العالم بشكل صحيح، والذهبيّ الفم الذي عاش في العالم يملؤك، بواسطة الليتورجيا الخاصّة به وبعظاته النارية، بالنعمة وبحرّيّة الدهر الآتي.

لقد بيّن الذهبيّ الفم بأقواله وحياته ماهيّة الرهبنة، وكذلك الناسك المتوحّد المستسلم للنوح البهيّ، والمتذوّق حلاوة البكاء المفرح، يكشف، بدوره، ماذا قدمت عظات الذهبيّ الفم العطرة الشذا. إنّها حياة واحدة لكلا الاثنين: ناسك البريّة والمؤمن المجاهد في العالم، لأنّ الكنيسة هي واحدة في السماء وعلى الأرض، والذهبيّ الفم هو ذاك الأسقف الشهير الذي عاش وحقّق هذه الوحدة، ولذلك تسمّيه الكنيسة «الإنسان السماويّ والملاك الأرضيّ».

إنّ ما تشعر به قرب أيّ ناسك حقيقيّ هو التحرّر من العالميّات، وعظمة التواضع، والدالّة لدى الله، ومنطق الدهر الآتي. وهذا ما تراه، أيضًا، لدى الذهبيّ الفم بما أنّه أنهى دراساته العليا في الفضيلة في مناخ البريّة النقيّ. لقد تقدّس، وسيبقى حيًّا إلى الأبد. لقد غدا قدّيسنا شعلة متوهّجة، فأتى عطر أقواله تعزية وحياة لكلّ البشر على مرّ العصور، لا سيّما عظته الخاصّة **بيوم القيامة المجيدة**، إذ وحّد اللحظة الحاضرة بالأبديّة، منعشًا الكون لا بمفردات بشريّة عقليّة، بل بكلمات ناريّة ترينا **ظَفَرَ الحياة على الموت**، وتفوّق **المحبّة** على كلّ **ظلم** أو عدالة أرضيّة. هذه القيامة التي تبطل كلّ شيء دنيويّ، وتدعو الجميع للاشتراك بالفرح السماويّ: «فادخلوا كلّكم إلى فرح ربّكم... تناولوا كلّكم مشروب الإيمان... المائدة مملوءة فتنعّموا كلّكم! العجل سمين، فلا ينصرف أحد جائعًا... لا يتحسّر أحد شاكيًا... ولا يندب معدّدًا آثامًا لأنّ الفصح قد بزغ من القبر مشرقًا. المسيح قام ولا ميت في القبر...».

لذا أضحى من الواجب، بعد هذا **الميمر*** الرائع، أن نرنّم مباشرة طروباريّة القدّيس: «لقد أشرقت النعمة من فمك مثل النار، فأنارت المسكونة، ووضعت للعالم كنوز عدم حبّ الفضّة، وأظهرت لنا سموّ الاتّضاع يا أيّها الأب المؤدِّب بأقواله يوحنّا الذهبيّ الفم، فتشفّع إلى الكلمة المسيح الإله في خلاص نفوسنا».

***«ميمر»: هي كلمة سريانية معناها (قول) وهو مقال أو سيرة قديس، والجمع هو ميامر (الميامر). وهي قصيدة تقرأ ولا تُنشد وتكون تعليمية قصصية.**

العبادة المتضعة (الفريسي والعشار)

إن كان **كلمة الله** في حبه لنا نزل إلينا بروح التواضع ليحملنا فيه أعضاء جسده المقدس، فإنه يليق بنا لكي نثبت في هذه العطية ونُحْسَبَ بالحق أحباء وأصدقاء أن نحمل روح التواضع فينا. لذلك قدم لنا مثل الفريسي والعشار.

✝ قال **القديس يوحنا الذهبي الفم** في عظته الخامسة ضد **أنوميانوس**: «أن الفريسي ركب مركبة يجرها البرّ مع الكبرياء بينما مركبة العشار تجرها الخطيئة مع التواضع؛ الأولى تحطمت وهوت، والثانية ارتفعت وعلت بعد أن غُفرت خطايا العشار بتواضعه.»

عندما أشرت أخيرًا إلى الفريسي والعشار، وافترضت أن لهما مركبتين هما الفضيلة والرذيلة، أشرت إلى حقيقة كل منهما، كم هو مفيد **تواضع الروح**، وكم هي **مفسدة الكبرياء**؟!

فالكبرياء وإن لازمها البرّ والأصوام وتقديم العشور فإن مركبتها تتقهقر، وأما تواضع الروح وإن لازمته الخطيئة، لكنه يسبق حصان الفريسي، ولو كان الذي يقوده فقيرًا (في أعمال البرّ)! لأنه من كان أشرّ من العشار، ومع ذلك إذ كانت روحه متواضعة ودعا نفسه خاطئًا، وهو بحق خاطىء، إلَّا أنه سما على الفريسي الذي كان له أن يتكلم عن أصوامه ودفع العشور...

لقد نُزعت الشرور عن العشار، إذ أُنتزعت عنه أم كل الشرور، أي المجد الباطل والكبرياء. وعلى هذا الأساس يعلمنا الرسول بولس، قائلًا: «وَلكِنْ لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ.» (غل ٦: ٤).

أما الفريسي فتقدم متهمًا العالم كله جهرًا، حاسبًا نفسه أفضل من جميع البشر. ومع أنه ولو فَضَّل نفسه عن عشرة فقط أو خمسة أو اثنين أو حتى عن واحد، فإن هذا ليس بمقبول؛ لكنه لم يقف عند حدّ تفضيل نفسه على العالم كله، بل واتهم البشرية كلها، وبهذا تخلف عن الرَّكب كله.

وكما أن السفينة إن جرت كثيرًا بسبب الأمواج غير المحصية والعواصف الشديدة، تتحطم على الصخور في داخل الميناء وتفقد كل ما تحمله من كنوز، هكذا فعل الفريسي، إذ قدم أصوامًا، وصنع بفيض فضائله، إلَّا أنه لم يحكم لسانه، فتحطمت نفسه داخل الميناء، ورجع إلى بيته بعد الصلاة – أي في داخل الميناء – وقد أصابه دمارٌ عظيمٌ، وبدلًا من أن ينال نفعًا أدركه التحطيم!!

أيها الإخوة، إذ عرفنا هذا كله فلننظر إلى أنفسنا أننا آخر الكل، ولو كنا قد بلغنا قمة الفضيلة عينها، عالمين أن الكبرياء قادرةٌ أن تُسقِط حتى السمائيين إن لم يحذروا، بينما تواضع الفكر يرفع من هاوية الخطايا أولئك الذين يعرفون كيف يسمون، وهذا ما جعل العشار يسبق الفريسي.

الكبرياء، أقصد **غرور النفس**، أقوى حتى من القوات غير المتجسدة، أي الشيطان، بينما تواضع النفس ومعرفة الإنسان لخطاياه التي ارتكبها جعلتا اللص يسبق الرسل إلى الفردوس...

إنني لا أنطق بهذا لكي نهمل البرّ، وإنما لكي نتجنب الكبرياء، ولا لكي نخطئ، بل نسمو بأفكارنا، فتواضع الروح هو ينبوع الحكمة الخاصة بنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

✝ عندما كان الفريسي يصلي ويشكر الله من أجل فضائله لم يكذب بل نطق بالحق، ولم يُدَنْ من أجل هذا... لكنه عندما التفت نحو العشار وقال: «إني لست مثل هذا العشار» ارتكب الإدانة!

القديس دوروثيوس

✝ مع أن الفريسي كان يصوم يومين في الأسبوع إلَّا أنه لم يستفد شيئًا، لأنه افتخر بذلك على العشار. **القديس أثناسيوس الرسولي**

✝ صلوات العشار غلبت الله الذي لا يُغلب!

الكبرياء ضد التواضع، خلاله فقد الشيطان سموه كرئيس ملائكة... فَكِّر أيها الأخ أية خطيئة هذه التي يقاومها الله؟!

القديس جيروم

✝ في كل كلماته لم يطلب (الفريسي) شيئًا من الله، لذلك لم ينل شيئًا. صعد ليصلي لكنه لم يفكر في الصلاة لله، وإنما في تمجيد ذاته. أكثر من هذا استخف بذاك الذي كان يصلي.

وقف العشار من بعيد لكنه بالحقيقة كان قريبًا من الله. بإحساس ضميره كان بعيدًا لكن بتقواه اقترب.

لم يجسر أن ينظر إلى فوق، إذ كان ضميره يضغط عليه إلى أسفل، أما رجاؤه فقد رفعه إلى فوق.

صار الفريسي ملومًا لكونه متكبرًا، وليس لأنه يشكر الله.

ليظهر دَنَسُ قلبك في اعترافك فتنتمي لقطيع المسيح، فإن الاعتراف بالخطايا يستدعي شفاء الطبيب... أَلَم يصعد الفريسي والعشار إلى الهيكل؟! واحد ظن أن حالته جيدة والآخر أظهر جراحاته للطبيب... بالتأكيد لم يكن الفريسي سليمًا، لكنه ادعى ذلك، فنزل بدون شفاء. أما الآخر فأحنى عينيه إلى أسفل ولم يجسر أن يرفعهما للسماء، وقرع صدره قائلًا: «اللّهم ارحمني أنا الخاطِئ». فماذا قال الرب: «أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبررًا دون ذاك، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» .

كما ترون من يطلب الافتخار لا يدخل بل يسقط، أما من يتواضع فيدخل من الباب بواسطة الراعي ولا يسقط.

المغبوط أغسطينوس

✝ لقد نطق (الفريسي) بما هو صدق، نطق به ليس في سمع إنسان، ومع هذا فقد دين... فأية عقوبة تسقط فيها النساء الثرثارات وهن يتكلمن بالكذب في كل موضع حتى في الأمور التي لا يصدقنها؟!

«لِنُقِمْ بابًا ومزلاجًا على الفم» (ابن سيراخ ٢٨: ٢٥)، فإن شرورًا بلا حصر تصدر عن الثرثرة، فبسببها تتحطم عائلات، وتتمزق صداقات، وتقع مآسٍ. لا تشغل يا إنسان نفسك بما يخص قريبك (لا تدنه)!

القديس يوحنا الذهبي الفم

✝ واحد صلى فَدِيْنَ، لأنه لم يقدم صلاته بحكمة. قيل إن «إنسانين» صعدا إلى الهيكل ليصليا... فيدعو (المسيح) الذين يصلون بشرًا دون النظر إلى غناهم أو سلطانهم... إنه يتطلع إلى كل سكان الأرض كبشرٍ دون محاباة لأحد على حساب الآخر.

كثيرة هي أخطاء الفريسي، أولًا لأنه كان متعجرفًا بلا إحساس، يمدح نفسه مع أن الكتاب المقدس يصرخ: «ليمدحك الغريب (قريبك) لا فمك، الأجنبي لا شفتاك» (أم ٢٧: ٢)...

كن معتدلًا أيها الفريسي، وضع بابًا ومزلاجًا للسانك. أنت تتحدث مع الله العارف كل شيء، انتظر حكم الدَّيّانِ. ليس أحد من المهرة في ممارسة الصراع يضع الأكاليل لنفسه، وليس أحد يقبل التاج من نفسه، إنما ينتظر ما يقضي به الحكم. انحنِ بكبريائك، فالكبرياء مكروهة لدى الله، ولعينة في عينيه. مع أنك تصوم، فبذهنك المتعالي لا تنتفع به شيئًا. تعبك لا يُكلل، لأنك تمزج القاذورات بالروائح الطيبة. حتى حسب الشريعة الموسوية لا يمكن تقديم ذبيحة لله بها عيب، فقد قيل له: «إن كل غنم أو ثور يقدم ذبيحة لا يكون فيه عيب» (لا ٢٢: ٢١). لذلك فكل صوم يصحبه كبرياء توقع أن تسمع عنه من الله: «أليس هذا صومًا أختاره» (إش٥٨: ٦). أنت تدفع العشور لكنك إذ تَدِيْنُ البشر عامة تخطئ إلى ذاك الذي كرَّمته. مثل هذا العمل غريب عن الفكر الذي يخاف الله، إذ قال المسيح: «وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ» (لو٦: ٣٧). ويقول أحد تلاميذه: «واحد هو واضع الناموس... فمن أنت يا من تدين غيرك؟!» (يعقوب ٤: ١٢). ليس أحد بصحةٍ جيدةٍ يحتقر مريضًا ملقيًا على فراش، إنما يخاف لئلا يسقط هو نفسه تحت نفس الآلام...

ولكن ماذا عن العشار؟ يقول إنه وقف بعيدًا، لم يجسر حتى أن ينطق أو يرفع عينيه إلى فوق. ها أنت تراه خاليًا من كل نطق جسور، كمن ليس له حق في ذلك، بل كان مضروبًا بتوبيخات ضميره، يخشى حتى من أن ينظره الله، بكونه إنسانًا أهمل في شرائعه، حياته منحلة غير طاهرة.

ها أنت تراه يتهم نفسه بطريقة منظورة... لقد كان خائفًا من الديان، يقرع صدره، ويعترف بخطاياه، ويكشف مرضه كما إلى الطبيب، ويسأل نوال الرحمة. ماذا كانت النتيجة؟ اسمع ما يقوله الديان: «نزل (هذا الإنسان) إلى بيته مبررًا دون ذاك» .

القديس كيرلس الكبير

✝ صلى (الفريسي) مع نفسه وليس مع الله، لأن خطية الكبرياء ردته إلى ذاته.

القديس باسيليوس الكبير

✝ لم يكفه الازدراء بكل جنس البشر لكنه هاجم أيضًا العشار. ربما كان خطأه أقل لو لم يهاجمه، لكن بكلمة هاجم الغائبين، وجرح من هو حاضر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

✝ هذا وقد أراد القديس باسيليوس الكبير في تعليقه على تصرف هذا الفريسي موضحًا الفارق بين الفكر المتعالي المملوء عجرفة وكبرياء، والفكر السامي النبيل الذي يرتفع فوق الأهواء، لا يحطمه اليأس، ولا تشغله الزمنيات. بمعنى آخر التواضع لا يعني انحطاط الفكر بل سموه وارتفاعه خلال اتحاده بالسيد المسيح المتواضع، فنحمل مع الرسول بولس فكر المسيح.

أخيرًا فقد حمل هذا المثل صورة رمزية عامة، فالفريسي يمثل بوجه عام جماعة اليهود الذين حسبوا أنفسهم أبرارًا بالناموس دون سواهم، أما العشار فيشير إلى جماعة الأمم التي اشتاقت إلى الخلاص رغم فقرها في المعرفة، وحرمانها من كل ما سبق فتمتع به اليهود من عهود ووعود وشريعة ونبوات الخ.

حبل التريودي المشدود للمتقدم في الكهنة الأب توماس فامفينيس

نقلتها إلى العربية شيم حموي

زمن التريودي هو الحبل المشدود بين الإفراط والحاجة، وبين السلوك الاجتماعي والجوهر الداخلي، وبين التحرُّر والطَّاعة. عن طريق ترانيم التريودي، وكلمات الآباء القديسين تشجب الكنيسة الإفراط في الطعام دون حدود، ولكنها في نفس الوقت تحذر من الإفراط في الصوم لاسيما على سبيل الكبرياء. أنها لا تهدف إلى تعذيب الجسد بل إلى تغيير التفكير من الداخل، والتشجيع على تحويل الأهواء، وجعل الدماغ هو المسيطر على الغضب والشهوة، حاثة على الصمت والصلاة بنفس القدر الذي تحث فيه على أفعال الرحمة. والكنيسة تلهم الطاعة لإرادة الله في المسيح ولكل الخليقة لأن هذه هي **حرية المحبة**.

إن تقدم الحياة الروحية والطاعة تحت الشروط التي وضعها **آباء الكنيسة**. والانعتاق مما هو ليس لله يأتي جنبًا إلى جنب مع تطور العلاقات الاجتماعية، وازدهار السلوك الاجتماعي وليسا متضادين. كما أن معيار صحة حياتنا الروحية هو بالحقيقة نجاح علاقاتنا الاجتماعية، واختبار صحة علاقاتنا الاجتماعية هو تجسيد سلام قوانا الروحية المترافقة باستنارة عيون قلوبنا الذهنية والتواضع في أفكارنا والتحرر من عبودية الأفكار بحسب كلمات الصلاة التي نقرأها بعد كل مناولة إلهية.

إلى هذا، الطاعة الحقيقية لنظام الكنيسة وقوانينها التي وُضِعَت بوحي من الروح القدس هو، التنسيق بين وجودنا وحرية كوننا أبناء الله. ومع ذلك يوجد في مجتمع المؤمنين حركات تغيير استقلالية حديثة تدمر جامعية طريقة الحياة الكنسيّة. وبالتالي الحركات التحرّرية التي هي سلسلة من التغييرات في روح الشعب والإيمان وتقليد الكنيسة الأرثوذكسية الكنسي والليتورجي. وهكذا تتطابق الحياة الداخلية مع التراخي والكسل، ويُستَخَفّ بها وتُستبدَل بالنشاطات الاجتماعية. وعلى العكس، إن الخدمة والأعمال الاجتماعية تأتي في مرتبة أدنى من الحياة الهدوئية، وتعد تعبيرًا عن حالة روحية مزيفة. أمّا الطاعة فتعتبر انضباطًا والانفلات يعتبر تمردًا.

يرتبط الإيمان في الكنيسة الأرثوذكسية بالعبادة التي تفترض الحياة النسكية والطاعة لرئاسات الكنيسة. فالرؤساء في الكنيسة هم أولئك الذين يعلّمون الحياة في المسيح لشعب الله. هكذا فإن الحياة الاجتماعية والحياة الروحية، الطاعة والحرية في الحياة وتعاليم كنيستنا ليست حصريًا تبادلية ولا مُرْبِكَة ولا تقصي الواحدة منها الأخرى بل على العكس من ذلك الواحدة منها تفترض الثانية.

لهذا هم يسمون الحياة الروحية تدميرًا للأعمال الخارجية، ما يدفع **بالنوس** إلى التحرّر من كل شيء مخلوق في الرحلة إلى صلاته المستدامة، باحثًا عنها من خلال الأعمال المادية والمحدودة الخاضعة لقوانين الفساد وأحكام الدولة. إنهم ينسون أن المسيح قد تجسد طوعًا خاضعًا ليس للأب السماوي وحسب بل أيضًا لقوانين قابلية الفساد وضرائب الدولة.

أخيرًا فإن رجل الكنيسة ليس ببساطة من ينسحب من العالم ولا من يختار العمل في العالم، ولا هو مَن يتغير بأدوات محيطه التقنية وليس مَن يرفض وسائل الراحة الحديثة، إنما هو مَن يحوّل قلبه وتجاربه بقوة نعمة الله ويعيش الخليقة بأكملها كهيكل لله. هو ذاك الذي يجعل من نفسه هيكلًا حيًا لله من خلال الطاعة المطلقة والطوعية للكنيسة، ويساعد من خلال حياته وسلوكه الآخرين ليصيروا هم أيضًا بدورهم هياكل حية لله القدوس.

في هذا العمل العظيم نجعل أنفسنا والخليقة من حولنا كنيسة. ونجد مساعدة فعالة في فترة التريودي بشكل أساسي في الصوم عن الطعام. لكن الصوم غير محدود بالأكل فقط، بل هو يعرض طريقة حياتنا ويعلمنا بتحديد أكثر كيف يتوجب على الناس أن يبحثوا عن الله قبل القيامة العامة. هذا ما يفسر ضرورة أن نجاهد الجهاد الحسن في الصوم وخوض ميدان الفضائل عن طريق **الصوم الكبير**، لا بسيف الصوم الذي يجتث الشرور من القلب وحسب، بل إلى جانبه كل أسلحة الإيمان الأخرى **كالصلاة والصدقة**. والصوم عن الطعام لا يعتبر مقبولًا إذا لم يترافق بصراع أقوى ضد الأهواء كما نقرأ في صلاة السحرية في أسبوع البياض.

«يا نفس إذا صمتِ عن الأغذية ولم تتنقي من الآلام فباطلًا تفرحين بترك الأكل لأن الصيام إن لم يصر علة لتقويمك فإنك تمقتين من الله ككاذبة وتضاهين الشياطين الأردياء الذين لا يأكلون بالكلية...»

إلى هذا فإن مضمون الصوم الكنسي الأرثوذكسي يحمل عمقًا واتساعًا يعبر عنه **القديس يوحنا السينائي** في (كتابه السلم إلى الله) بِقَولٍ يقرأ عادة في الأديار الأرثوذكسية خلال الصوم الكبير وهو يعطي تعريفًا شاملًا للصوم حيث يكتب:

«الصوم هو اقتسار الطبيعة، وإقصاء لكل ما يستلذه الحلق وبتر لالتهاب الشهوة، وقطع للأفكار السيئة وتحرر من الأحلام الليلية وتنقية للصلاة، ونور للنفس ويقظة للذهن، وجلاء لقساوة القلب وباب خشوع، وتنهد منسحق وتحسر فرح وتهدئة للثرثرة وسبيل للسكينة، وحارس للطاعة وخفة للنوم وعافية للجسد ووسيط للاهوى، وغفران الخطايا وباب للفردوس ونعيمه».

بهذه الكلمات المختصرة الموجزة **للقديس ليوحنا السلمي** نجد المعنى الكامل للصوم الأرثوذكسي. لن أشرح النص ولكنني أريد أن ألفت الانتباه إلى العنف ضد طبيعة الإنسان الساقطة. إن النسك يُخضع الجسد للذهن المتحرِّر من الأفكار الرديئة ويصلي بنقاء.

هذا المقياس الداخلي للصوم يرتبط بالتوبة والتنهد المتواضع والتوبة وندامة القلب التي لا تغرقه باليأس والحزن، بل تعطي فرح الأمل بأن الخطايا سوف تغفر وأن باب الفردوس سيكون مفتوحًا للتائبين، وهناك شيء مهم في الصوم هو السكينة وسط الثرثرة وأداة للصمت وحارس للطاعة.

لا تغتذي الكنيسة بالكلمات الكثيرة لا سيما الغامضة والمربكة منها إنما بكلمات **الكلمة (يسوع المسيح)**. نحن وجميع الناس من حولنا نحتاج إلى كلمات قليلة وهذه يجب أن تخرج عن صمت القلب الذي يطيع في عمق اعماقه إرادة الله الصانعة السلام.

الصوم وصية من الله

الشيخ يعقوب تساليكيس

نقلتها إلى العربية راما مخول

كان الشيخ يعقوب من جزيرة إيفيا اليونانية من محبّي الصوم حيث اختبر بتجربةٍ فوائده الجسدية والروحية. ففي أوقات المحاربات الروحية لم يكن يأكل أي شيء على الإطلاق، إلّا القليل من القربان المقدس. كما كان يفعل شفيعه ومثَله الأعلى **القديس داوود** لسنوات عديدة. حيث كان يأكل وجبة بسيطة فقط يوم السبت عند الظهيرة – ولكن ليس دائمًا – ويوم الأحد. فالرب وحده يعلم كيف كان يحتمل هذا النظام الصارم من الصوم بالإضافة للكثير من الأعمال اليدوية.

الصوم وصية من الرب، ولذلك يا أبنائي، ينبغي علينا أن نصوم أيضًا. فأنا لم أهمل الصوم طوال سنوات حياتي السبعين، لأن والدتي علّمتني أن أصوم منذ الطفولة. كما أنني لا أتظاهر بذلك عندما أصوم، لكنني أقوم بما علّماني إياه والداي وحافظت عليه حتى يومنا هذا، يا أبنائي. فالصوم لم يعرضني للمرض أبدًا.

يقول الأطباء والأساقفة أن الصوم المقتصد مفيد جدًا للإنسان. ذات مرة، قال لي طبيب: «أبانا، لا تأكل أي شيء لمدة خمسة أيام ولا تشرب حتى قطرة ماء، لأننا سوف نقوم باختبار لتحرّي ما سيجري في جسمك». ولذلك صمت خمسة أيام. فكان لهذا الاختبار أثر عظيم عليّ، فكم بالحريّ تكون الفائدة أكبر لأرواحنا عندما نصوم! فلأن داخل جسدنا تسكن روح أبدية، دعونا نعتني بروحنا التي هي حقًا خالدة.

دعونا نصوم يا أبنائي الأحباء، ولا تستمعوا لهؤلاء الذين يستنكرون وجود الصوم ويقولون إنه بدعة من عند الرهبان. لا يا أبنائي، إنه ليس بدعة من عند الرهبان، اغفروا لي، الله يقول لنا أن نصوم. وصية الله الأولى هي الصوم، كما أن المسيح أيضًا صام.

نستطيع القول أننا نصوم مع أننا نأكل كثيرًا. إذًا ما هو الصوم الذي نقوم به، يا أبنائي؟ عندما تكون الأغذية التي نتناولها بدون زيت، اغفروا لي، حتى لو كنا نتناول الكثير منها. فذلك كافٍ للإنسان ليحافظ على صحته ويبقى لديه رغبة بالصوم.

يوما ما جاءني أحدهم وقال لي: «أخبرني الكاهن أن الصوم غير موجود»، فأجبته: «ومَن أخبرك أن الصوم غير موجود؟ اذهب وأخبر الكاهن أن يفتح الكتاب المقدس ويرى الآيات التي تتحدث عن الصوم: «إلَّا بالصلاة والصوم» (متى ١٧: ٢١، مرقس ٩: ٢٩)، التي قالها المسيح، وآيات أخرى. فالشياطين والأمراض والشهوات لا تخرج إلَّا بالصوم. كما أن الأب المتقدّم المقدس ماذا كان يأكل في الصحراء؟ وداوود المبجَّل ماذا كان يأكل؟ كان يمضي طوال الأسبوع، مع القربان المقدس، في قلايته مُتعبدًا».

بعض الأفكار حول تدريب الإرادة

الأرشمندريت كبريانوس بيزوف

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

إن إظهار ضرورة تدريب الإرادة هو مثل إثبات أن جائعًا يحتاج الخبز أو أنّ مريضًا يحتاج الدواء: الكلّ يعلم أنّ الإرادة القوية الثابتة في تحقيق الفضيلة تساعد الإنسان في كل خطوة من الحياة. مَن يملك إرادةً قويةً يدخل ملكوت السماء بسرعة أكثر من ضعيف الشخصية المُستَعبد للعواطف والعادات السيئة. الرجل الضعيف، لكونه يُسحَر بسهولة بالشرّ، ولكونه بلا أسلحة ولا إرادة من نفسه، فهو يقع بلا حول ولا قوة في شباك العدوّ.

الرجل ذو الإرادة الضعيفة غالبًا ما يكون على علم تمامًا بأنه يخالف ضميره. ومع ذلك، فهو يسمح لسموم الخطيئة التي تعفّن قلبه بأن تقرّبه أكثر من أي وقت مضى إلى التهلكة. لأنه يعلم أن **الشيطان الواقف أمام أبواب قلبه يسعى للحصول على مدخل ليغدر به،** ولكن لا قوة لديه على المقاومة. لذا يفتح الأبواب، ويقع ضحية تراخيه.

إن **الأرواح النجسة** وقد وضعت العديد من الأفخاخ للإيقاع بنا، ونحن نسمّيها أهواء. إن بذورها مزروعة بالفعل فينا عند الولادة، إذ «بالخطايا ولدتني أمّي». إنها تبدأ عملها المفسد منذ نعومة الأظفار، وبمجرد الحصول على موطئ قدم، من المستحيل تقريبًا هزّها. يجب أن تبدأ المعركة ما أن تظهر الأهواء. إنّ سلاحنا الرئيس في المعركة هو الإرادة القوية الصالحة المتحالفة مع الله، ومن واجب كلّ مسيحي أن يُدَرِّب إرادته لأن تكون هذا السلاح. هذا النوع من التدريب ضروري خصوصًا في مرحلة الطفولة، عندما يكون الحصول على العادات سهلًا، إذ إن الميل نحو اللذة الذي يُكتسب في الشباب يطارد الإنسان كلّ حياته.

عندما توجَد المشاعر التي تدمّر النفس لدى الأطفال، تقع الخطيئة على عاتق الآباء والأمهات الذين لا يولون اهتمامًا لنشاط أطفالهم ويفشلون في إصلاحهم. على كبار السن أن يوضحوا المشاعر للشباب ويرشدوهم ليكونوا على أهبة الاستعداد. لسوء الحظ، فإن العكس يحدث عادة، ويقع ذنب زرع بذور الخطيئة في السلالة على الجيل الأكبر سنًا. على سبيل المثال، غالبًا ما يستفيض الأهل في الثناء على أطفالهم ومكافأتهم، وبالتالي، تعليمهم المجد الباطل وحب الذات والحسد والمشاكسة. وبالمثل، بدلًا من تشجيع البراءة الطبيعية في الشباب، فإنّ المدارس تعلّم بشكل منهجي الكبرياء والغرور التافه، الذي يتعاون مع الطبيعة البشرية الساقطة على خنق النفس. هنا الخطيئة تخترِق بسهولة كبيرة لأنها مُقَنَّعة كفضيلة.

عند توجيه الاهتمام نحو الروحيات في الجهاد ضد الشرير، يجب ألّا ينسى المرء إلى أي درجة ينبغي عليه أن يكبح جماح نفسه في الماديات من أجل تعزيز إرادته. إن الانضباط الجسدي هو بنفس أهمية الانضباط الروحي في تدريب الإرادة. الرجل الذي يسيطر على نفسه ينهض باكرًا، يأكل قليلًا، ويعمل بجد، ويستخدم وقته بحكمة. في غياب ما سبق، فإن المشاعر تتغلّب بسهولة على الإنسان وتصير شيئًا فشيئًا جزءًا من حياته، فيما يصير هو بكليّته فريسة لإرادته الضعيفة.

ضارٌّ جدًا أن يتعلّق الإنسان ببعض الأطعمة الشهية منذ شبابه. مَن لم يُنمِّ طعمها لن يكون بحاجة لها في ما تبقّى من حياته. أمّا مَن تربّى منذ حداثته على الطيّبات فسوف يسعى جاهدًا في شبابه ليؤمّن لِحَنَكِهِ الاكتفاء من الأطعمة والمشروبات الخاصة أو من التدخين.

كلّ ما هو مفيد لتقوية الإرادة في الجهاد من أجل الخير ينبغي تثبيته في قلوب الشباب. **كلام القديس برلعام** لتلميذه الأمير يواصاف تعليمي. فهو يقول له بأنّه هو نفسه عجوز ممتلئ بجميع أنواع الضِعة، لذا فإن تعليم المسيح النقي يُبَثّ في قلب الأمير يواصاف الذي لا يزال شابًا.

الأنبا دوروثايوس، صاحب العظة الشهيرة عن الفضيلة، يولي اهتمامًا خاصًا بالتفاصيل الصغيرة في عملية تعزيز إرادتنا. هذه التفاصيل الصغيرة على ما يبدو واضحة خصوصًا في مجتمع رهباني. ما من شيء يفسد حياتنا أكثر من الكسل. نحن كسالى جدًا عن الوقوف للصلاة، كسالى جدًا عن السجدات، كسالى جدًا لنُشغل أنفسنا بشيء مفيد. أحيانًا نكون كسالى جدًا حتّى عن رسم إشارة الصليب بشكل صحيح. إنّ غياب رقابتنا يحثّنا على البدء بتناول الطعام أو شرب الشاي قبل المبارَكة. غياب ضبط النفس يلد عادة التدخل في محادثات الآخرين. إذا نادى شخص آخَرَ، فإن رأسَي الثاني والثالث يدوران باتجاهه لمعرفة ما يجري، ما يجعل مجموعة من الناس تهتم بما يجري الحديث عنه. يأتي الناس إلى اثنين منشغلَين في محادثة خاصة بأسئلة مثل «حسنًا، ما الذي يحدث، ما الذي يجري هنا؟» إلخ.. يكتب **الأنبا دوروثايوس** أن الصراع مع الفضول هو واحد من أساسيات تدريب الإرادة.

إن المعركة ضد الإرادة الذاتية هي أيضًا حيوية. هناك أشخاص لديهم هذه الطاقة التي يبدو أنها قادرة على تحريك الجبال، ولكن

فقط إذا لم يتعارض هذا مع إرادتهم. أنهم يعجزون عن القيام حتى بمهمة صغيرة إن لم تتناسب مع أفكارهم الخاصة، ولا يتحمّلون أدنى تدخل في ما يريدون. إنهم مغرورون لا يثقون إلّا في قدراتهم الخاصة وإرادتهم، بالرغم من أنها تبدو للخارج قوية، إلّا إنها في الواقع ضعيفة واهية. إنّهم مثل الشجرة التي تزهر بشكل رائع في الربيع ولكن من ثمّ لا تحمل أيّ ثمر. الشخص المتمحور حول ذاته غالبًا ما يؤدّي المهام الكبرى. على سبيل المثال، ينتج الأعمال الفنيّة الضخمة، لكنه يعجز عن التواضع أمام الله، وبالتالي لا يجلب أي ثمرة طيبة. إنّ شجرة بلا ثمر لا تنفع إلّا للحطب، كما أن نفسًا عقيمة لا تلد إلّا روحًا مكتئبة مُثقَلة.

إنّ تطوير الإرادة هو علم صعب ولكنه حيوي، ولكن إذا درّب الإنسان إرادته وأرشدها بجدّ فسوف تصبح مساعدةً جيدةً في كلّ الأعمال الحسنة والرفيق المخلص نحو الخلاص. مَن اكتسب إرادة جيدة وقوية يتحمل بسهولة الإهانات ويكون حكيمًا في التعامل مع الأحزان التي تأتيه. ضعيف الإرادة يقع في الحزن المفرط والاكتئاب. فهو ينسى أن المساعدة تأتي من الله ويسعى إلى الراحة في أصدقاء مثله ضعفاء ومتخاذلين، كما في أصدقاء خفاف العقل يلقونه في مزيد من الحزن والاكتئاب.

إن ملكوت الله يُغتَصَب اغتصابًا والذين يغصبون ذواتهم يدخلونه.

مختارات آبائية حول الصوم

القديس باسيليوس الكبير

إن الصوم الحقيقى هو سجن الرذائل أي ضبط اللسان وإمساك الغضب وقهر الشهوات.

القديس ثيوفان الحبيس

فى الصوم ادخل إلى قلبك وافحصه بدقة لتعرف بأي أفكار وأوجاع هو يرتبط.

القديس إسحق السرياني

صوم اللسان خير من صوم الفم وصوم القلب خيرُ الاثنين.

القديس يوحنا الدمشقي

اذا تناولت الكأس لتشرب فاذكر الخل والمرارة التي شربها يسوع من أجلك وبذلك تضبط نفسك.

القديس موسى الأسود

اعلم يقينًا ان كل انسان يأكل ويشرب بلا ضابط، ويحب أباطيل هذا العالم فانه لا يستطيع أن ينال شيئًا من الصلاح بل ولن يدركه، لكنه يخدع نفسه.

إذا قاتلتك الشياطين بالأكل والشرب واللبس فارفض كل ذلك منهم وبين لهم حقارة ذاتك فينصرفوا عنك.

القديس أفرام السرياني

خبز وملح مع سكوت وراحة، أفضل من أطعمة شريفة مع هموم وأحزان.

ثمين هو الصوم الطاهر أمام الله، وهو محفوظ ككنز في السماء، الصوم سلاح أمام الشرير، وترس نقاتل به سهام العدو.

القديس مكسيموس المعترف

من غلب الحنجرة فقد غلب كل الأوجاع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ليتنا لا نثق ان الصوم الخارجى عن أطعمة منظورة يكفي وحده لنقاوة القلب وطهارة الجسد ما لم يصاحبه صوم النفس.

كرامة الصوم ليست فى الامتناع عن الطعام بل فى الانسحاب من الأعمال الشريرة.

القديس يوحنا السلّمي

طريق الصوم يؤدى لطريق النقاوة. الصوم هو بتر الشهوة والأفكار الشريرة وهو نقاوة الصلاة واستنارة النفس وضبط العقل والتخلص من قساوة القلب وهو الباب للندم.

من بستان الرهبان

لا بد أن يرتبط الصوم بالتوبة، لأن المهم هو القلب النقي وليس الجسد الجائع.

أن إمساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلًا، وان كان عليك قتال فاترك قليلًا أكثر.

لا تصم بالخبز والملح، وأنت تأكل لحوم الناس بالدينونة والمذمة. لا تقل أنك صائم صومًا نظيفًا وأنت متّسخ بكل الذنوب.

من يضبط فمه فان أفكاره تموت كجرّة فيها حيات وعقارب، إن سُدّ فم الجرّة تموت.

لماذا نصوم عن اللحم فقط في أسبوع مرفع الجبن؟

الشيخ أبيفانيوس ثيوذوروبولوس

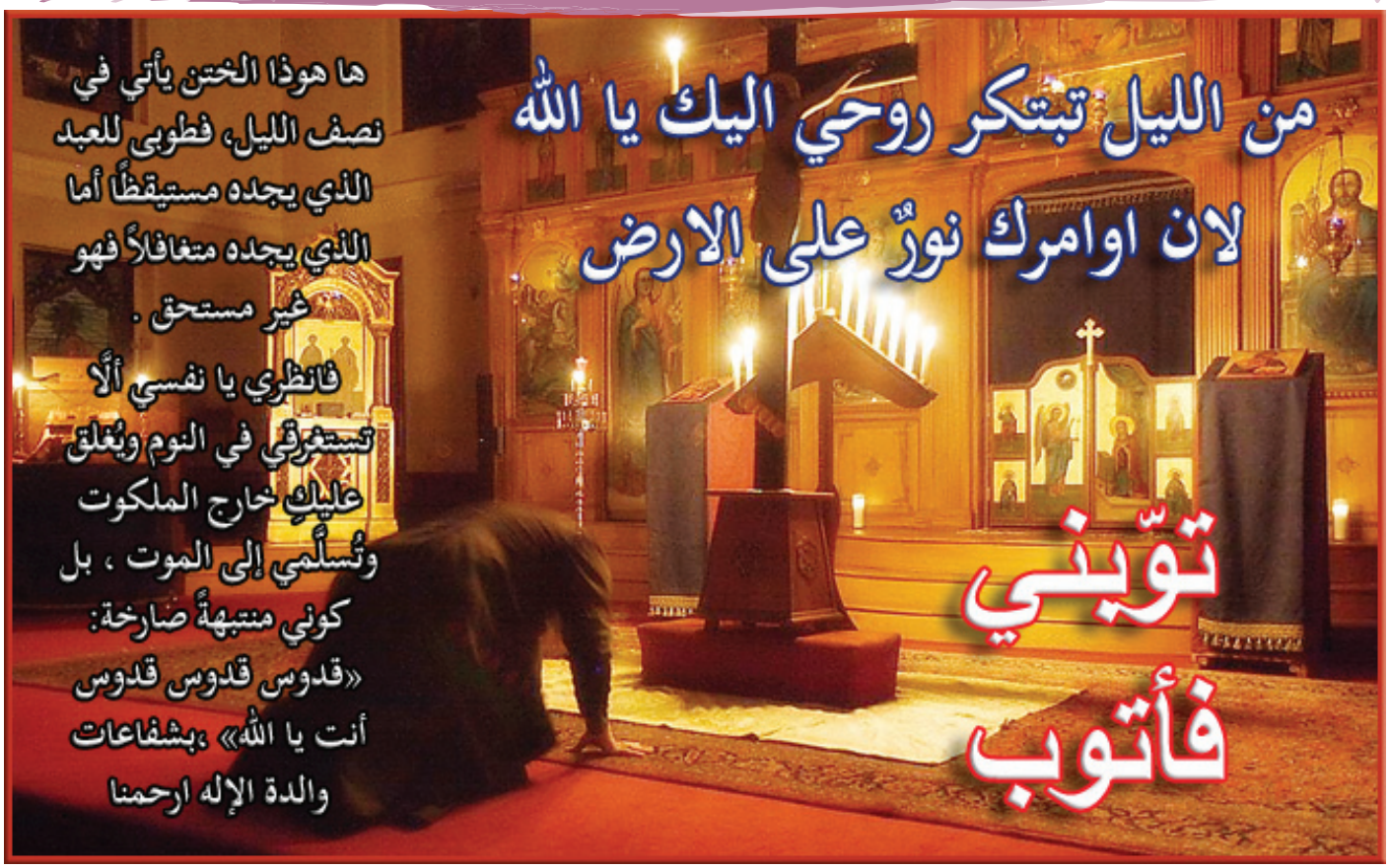

اكتسب **أحد مرفع الجبن** تسميته لأنه في الأسبوع السابق له لم نأكل اللحم، بل فقط منتجات الألبان مثل الحليب، الجبن، ...الخ وكذلك البيض والسمك أيضًا. يجد البعض هذا القانون الكنسي غير مبرّر، قائلين: «كيف يكون حليب الحَمَل مسموحًا بينما لحمه ممنوع طالما الحليب ينتج منه أيضًا، كيف يسمح بالبيض وليس بالدجاجة طالما الأولى تنتج الثانية؟ ...».

بالطبع، لربما هناك وجهة نظر في حديث هؤلاء لو أنه كان هناك تحريم لأكل لحم الخروف أو الدجاج ولهذا السبب لا نأكلهما لذلك لا نأكل ما ينتج منهما لأن اللحوم أيضًا ستصبح محرّمة، لكن في كنيستنا ما من طعام محرّم، وهذا ما علّمه **القديس بولس في رسالته إلى تيموثاوس** (٤:٣-٥). في الواقع وزّعت الكنيسة الأطعمة إلى استهلاك أكبر أو أقلّ ولضبط النفس، هي تسمح بالبعض وتمنع البعض الآخر في أوقات محددة.

الردّ الدقيق لهؤلاء الأشخاص الذين قالوا ما سبق تمّت الإجابة عليه من قبل أثناسيوس من باريوس وهو معلم وحكيم مهم في الكنيسة، عندما كتب لأحد الأطباء «أنت تدين صديقًا لأنه في أسبوع مرفع الجبن يأكل البيض ولكن ليس الدجاج الذي يعطي البيض الحياة، لكن ما هو وجه الشبه بين البيض غير الحيّ والدجاج الحيّ؟ البيضة أدنى بكثير من الدجاج، وكإثبات سأحتكم إلى رأيك الذي هو رأي طبيب، هل تنصح مريضًا بدأ يتماثل للشفاء بِفَرُّوجٍ صغير أو بديك كبير كغذاء ولماذا تفعل هذا؟

فكما تقول أنت إن الأغذية الدسمة والدهنية ستؤذي صحته التي بدأت بالتعافي من مرضها، طالما أن معدته ليس لديها القوة لتتحمل وتهضم هذا الطعام. إذًا هناك فرق بين الفَرُّوجِ الصغير والدجاجة الكبيرة. إن الفروج كغذاء أقل قوة من الدجاجة. لذا ليس أحد من الأطباء يقول إن البيضة أو الدجاجة هي نفسها وهي مناسبة للمريض. أليس من غير الواضح أنهم وبدون سبب ينتقدوننا لأكل البيض وليس الدجاج؟ ينتقدوننا أننا نأكل الزيتون ولكن ليس زيت الزيتون على الرغم من أنه داخل الزيتون يوجد الزيت لكن داخل العنب يوجد الخمر. على كل حال، كل العنب الذي نأكله لا يجعلنا نسكر. على الأكثر سيجعل معدتنا متخمة.

إلى جانب ذلك إنه من المعروف أنه مع زيت الزيتون يمكن طهي عدد غير مُنْتَهٍ من الاطعمة اللذيذة، على الرغم من أن الزيتون يعتبر طعامًا صياميًا. الصوم هو عدم أكل الطعام المطبوخ بل غير المطبوخ مثل الخبز والزيتون والثمار الجافة وغيرها.

نقلتها إلى العربية علا مقصود

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل العاشر ✝

«ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ:«فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ؟ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا. لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَلاَ يَشْرَبُ خَمْرًا، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا». (لو ٣١ :٧-٣٥).

وفي اليوم الذي كان متوقعًا أن يغادر فيه المركب ممر الأوريبوس متجهًا نحو ستيليس، مرفأ فتيوتيس، كان ساعي البريد السيد خرالمبوس، يبحث عن نكتاريوس في كل مكان. وإذ وجده قال له:

– أَحمِل رسالة إليك يا صاحب السيادة.

– من أين هي ؟

– – من خاريستوس

فابتسم نكتاريوس، وتناول الرسالة بتأثر صامت، وفضّها ليقرأ ما ورد فيها:

– إنّ شبان وشابات خاريستوس يعبّرون لسيادتكم عن عرفانهم بالجميل لنصائحكم الأبوية وسهركم على حياتهم الروحية ...

وكان في أسفل الصفح مئة توقيع.

وبعد خمسة عشر يومًا، تلقّى نكتاريوس في **لميّا** الرسالة التالية من **كيمي**:

«إسمح لي يا صاحب السيادة أن أنقل إليك بتكليف من مدينتي والمنطقة كلها، الحزن الذي يسببه لنا رحيل قداستكم عن أيبوس بعد مكوثكم فيها سنتين ونصفًا، ممارسين الوعظ، كما تعبّر لكم المنطقة كلها عن محبتها الكبيرة لقداستكم. وأنَّ الاحترام الكامل مِن قِبَل الجميع كبارًا وصغارًا هو خير تعبير عن مشاعر الجميع الصادقة في بلد استطعتم أن تأسروه بفضل مواعظكم وحياتكم

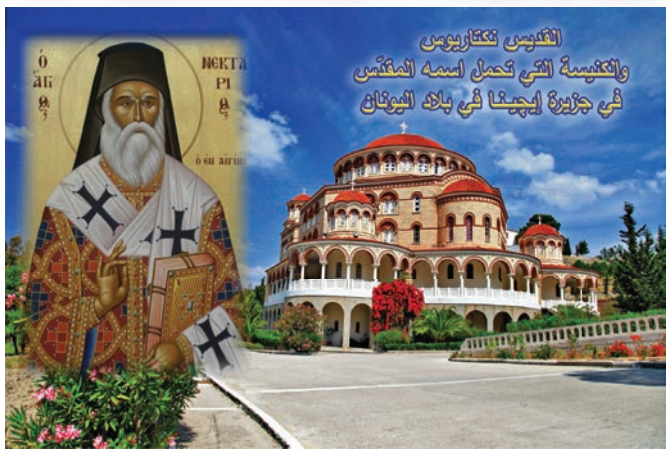

المسيحية. إنَّ كيمي وكامل منطقة أوخاريستي سوف تتذكران على الدوام وبفرح كبير إقامتكم بيننا. كما أنَّ مؤلفاتكم الروحيّة التي جهدتم في كتابتها ونشرها، سوف تُبقي تذكاركم في الأذهان إلى الأبد. ولقد كان من دواعي حظّنا لو حقّقت لنا وزارة الأديان أمنياتنا، ولو أننا حظينا بسعادة الاحتفاظ بكم لسنوات أخرى عديدة بيننا، ولكن وبما أن القَيِّمين على الكنيسة الحريصة على أولادها قد كان لهم رأى آخر، فإنَّنا نحترم قرارهم ونرجو لقداستكم بكل صدق سفرًا موفقًا وأعوامًا عديدة. كما نضرع لقداستكم بألَّا تنسونا في صلواتكم على الدوام. إذ لنا ملء الثقة بصلواتكم وبركاتكم، نُقَبِّل يدكم اليُمنى مع عرفاننا بالجميل إلى الأبد»

كيمي في ١٠ أيلول ١٨٩٣

مختار المدينة: ك. سارافينوس

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لو ١٤ :٢٦)

والأُسْدُ لولا فُراقُ الغابِ ما آفْتَرَسَتْ

والسَّهْمُ لولا فُراقُ القوسِ لم يُصِبِ

الأرثوذكسيّة (٧٨)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

ويكنيسة واحدة جامعة مُقدَّسة رسولية

عليك أن تكون الكنيسة: (تتمة)

يقول لاهوتي:

« عندما تبدأ في أن تكون كنيسة،
توقَّف عن أن تَجعَل الكنيسة مكانًا تذهب إليه،
بل اجعل شيئًا موجودًا حيًّا فيك».

دعنا نتمعَّن في السؤال: «أين تقع كنيسة القديس جوارجيوس؟» قد تكون الإجابة: «في العنوان الفلاني». هذه إجابة صحيحة جزئيًّا عن المكان الذي تقع فيه الكنيسة. ولكن لا تزال توجَد إجابة أفضَل وهي أنَّ كنيسة القديس جوارجيوس تكون حيث يكون شعب القديس جوارجيوس. عندما تكون في المنزل فأنتَ كنيسة في منزلك، وعندما تكون في العَمَل فأنتَ الكنيسة في مكان عَمَلك، في السوبر ماركت، في المدرسة، في المكتب، في المطعم، في الشوارع المزدحمة. هنا المكان الحقيقي الذي تقع فيه كنيسة القديس جوارجيوس طوال الأسبوع. الكنيسة توجد حيثما تُوجَدُ أنتَ.

ألقَى الكاهن الشهير والمحبوب جدًّا لرعيَّته **ملتي بابكوك** عظة عنوانها: «كوارتس الأخ». بُنِيَت هذه العظة الشهيرة على قول بولس الرسول: « يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ .... وَكَوَارْتُسُ الأَخُ.» (رو١٦: ٢٣). ألقَى هذا الواعظ العظة الرنَّانة إلى أعضاء كنيسته وقال فيها: «يا أحبّائي، إنَّ يسوع المسيح الذي ندين له بحياتنا يُرسلنا إلى الخارج لِنعمَل عمَله في العالم. يجب أن نكون أياديه وأرجله. كيف سيعرف العالَم مِن يسوع الأخبار السَّارة عن الغفران والرجاء والقوَّة والعزاء والمحبة؟ كيفَ يعيش الناس حياة البنوة والصداقة والأخويّة؟ يقول السيِّد: «أنتم شهودي، ها قد أرسلتكم»، إنَّها إرساليتكم لتنوبوا عن السيِّد. مَن يستطيع أن يذهب إلى المخازن، إلى البنوك، المستشفيات، المدارس، الجامعات ، المصانع، مكاتب العمل، المحاكم؟ مَن يقدر أن يدخُل إلى منازلنا كلها؟ مَن يقدر أن يذهب إلى مجالس العَمل أو اجتماعات رؤساء الأموال أو السياسيِّين؟ من يقدر أن يذهب ليَحضَر اجتماعات القادة والمديرين؟ مَن الذي يعرف كلمة السرّ؟ من الذي يعرف الطريق؟ إنّه كَوَارْتُسُ الأخ! كَوَارْتُسُ الأخ هو الذي يمكنه أن يذهب في كل مكان. إنَّه يستطيع أن يدخل في كل قسم من الحياة: قانوني أو سياسي أو تجاري أو تعليمي أو اجتماعي .. كما يمكنه أن يأخذ مكانه هناك ويقول ماذا يفكِّر، ويُدلي بصوته في حريّة كما يعتقد، إنّه يستطيع أن يقف كَ «شاهد أمين» وكما يليق بأخ أمين يُرحِّب بالصَّواب ويلفظ الخطأ، وإن وَجَدَ شيئًا رديئًا يقول إنَّه رديء، وإن وَجَدَ شيئًا جيِّدًا يقول عنه إنّه جيِّد. إنَّه يوبِّخ طرق الأعمال الغاشة الفاسدة ويُنذِر: إمَّا أنْ تقلع الشرّ أو تتنحَّى. الأخ كوارتس يَعِظ: كُن حبَّة ملح، شعاع نور، أسند الضعيف، تعاطف مع المنزعج، وكُن مثل أخ يعيش: يُساند الصواب، ويُقاوم الخطأ ويتطلَّع نحو الصلاح الذي يُمكن أن يُفعَل، الآن وعلى المدى البعيد».

هذه هي إرساليَّة الكنيسة من خلال علمانيِّيها، ولكن كيف يمكن لكوارتس العلماني أن يعمل عمله خارج الكنيسة إن لم يكن قد أكمله داخلها، حيث يُمسِك برؤية الله وبالإلهام للخدمة. إنَّ السبب الذي لأجله نبني كنيسة، ونحضر إلى الكنيسة، ونُدَعِّم احتياجات الكنيسة الماديَّة، ونخدم الكنيسة، أينما نكون. الكنيسة ليست فقط أن نأخذ الله بل أيضًا أن نُشِعَّ الله.

كان هناك مشهد في فيلم: «على جبهة المياه» يُرى فيه رجل وهو يُضرَب بعنف لأنه فَشِلَ في اتِّباع قوانين العصابة. أُلقِيَ بالرجُل على الأرض وهو يرتعش وسط دائرة من الرجال وهم ساكنون خائفون من التدخُّل أو التحرُّك. وفجأة إذا بكاهن يندفع إليه من وسط الجمع، فقال له رئيس العصابة: «أيها الأب، عُد إلى كنيستك التي أتيت منها»، فأجابه الكاهن (مشيرًا إلى المجروح):«هذا هو كنيستي»، ثمّ إنَّه اختطَّ طريقه نحو الرجُل ليمسح الدم مِن على وجهه.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة عشرة «... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

١٧ – أمثلة بطرس وأليشع:

لم يكن بطرس مع حننيا وسفيرة عندما باعا ممتلكاتهما، ولكنه كان حاضرًا بالروح، اذ قال: «يَاحَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال ٥:٣). لم يَكُن هناك مُتَّهم ولا شاهد، فكيف عرفَ ما حَدث؟ «أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ؟» (أعمال ٥:٤). لقد عَرَفَ بطرس الأُمِّيُّ بنعمة الروح القُدس ما لم يعرفه حُكماء اليونان انفسهم. ولديك مثل يشابهه عند أليشع. لأنه عندما شُفِيَ **نعمان** مجانًا من بَرَصِهِ، أخذ **جيحزي** أجرًا؛ تلقّى أجر عمل خير صنعه آخر. ولما أخذ المال من **نعمان** أخفاه (٤ ملوك ٥:٢٤ ٢٧). ولكن «الظلمة لا تُظلم لدى القديسين» (مز١٣٨: ١٢). فلما عاد سأله **أليشع**، كما سأل **بطرس**: «قُل لي: أبهذا الثمن بعتما الضيعة»؟ (اعمال ٥:٨)، إذ قال: «من أين أتيت يا جيحزي» ؟ (٤ ملوك٥:٢٥). لم يَكُن يجهل، ولكنه كان في منتهى الأسف: من الظلام أتيت وإلى الظلام تذهب. لقد بعت شفاء الأبرص وسترت برصه. كأن به يقول: أنا نفّذت أمر القائل: «أخذتم مجانًا فمجانًا أعطوا» (متى ١٠:٨). ولكن انت بعت النعمة، فتلقّ أجر بيعك. ولكن ماذا قال **اليشع**؟ – «ألم يكن قلبي معك»؟ (٤ملوك ٥:٢٦)؛ لقد كنت هنا بالجسد، ولكن الروح الذي أعطاني الربّ رأى ما كان بعيدًا، وأراني بوضوح ما كان يحدث في مكان آخر. هل ترى كيف أنَّ الروح لا يبدِّد ظلمات الجهل فحسب، بل يمنح المعرفة أيضًا؟ هل ترى كيف أنَّ الروح القُدس ينير النفوس!

١٨ – ومثل اشعيا:

كان **أشعيا** يعيش منذ ألف سنة (قبل القديس كيرللس الأورشليمي)، وقد رأى صهيون كخيمة، تلك التي كانت مدينة حصينة تزيّنها الساحات العامة، متسربلة بالجلال. واليك ما قال: «إنّ صهيون سَتُحرث كحقل» (ارميا ٢٦:١٨ ، ميخا ٣:١٢)، معلنًا بذلك ما حدث في ايامنا. وانظر إلى دقّة النبوءة، اذ يقول: «تبقى ابنة صهيون كمظلّة في كرم، كمبيت في مقثاة» (أشعيا ١:٨). وها هو المكان ممتلىء اليوم بحقول الخيار. هل ترى كيف الروح القُدس ينير القديسين؟ فلا تَنسَق إذن إلى آخرين بسبب تشابه اللفظ، بل تمسّك بما هو صحيح.

١٩ – الروح يُوعز بالمشورات الإنجيلية ...

وإذا طرأتْ في خاطرك فكرةٌ عن الطهارة أو البتولية، وانت جالس، فهي من وحيه. ألا يحدث غالبًا ان تهرب عذراء، وهي على عتبة الزواج، بوحي منه عن جمال البتولية! ألا يحدث غالبًا أنَّ رجلًا ذا نفوذ في البلاط الملكي، يحتقر الغنى والجاه بوحي من الروح القُدس؟ ألا يحدث غالبًا أن يغضّ شاب الطرف عن رؤية فتاة جميلة خوفًا من الدنس؟ هل تبحث عن سبب ذلك؟ – هو الروح القُدس الذي عَلَّم نفس الشاب. العالم مليء بالجشع، ويفضّل المسيحيون الفقر، لماذا؟ – بسبب تعليم الروح القُدس. في الواقع يستحقّ الروح القُدس كل اكرام واجلال. فبحق نحن مُعَمَّدون باسم الآب والابن والروح القُدس. يكافح الانسان في الجسد ضد شياطين كثيرة شريرة؛ والشيطان الذي كثيرًا ما لا تخضعه السلاسل الحديدية، تقهره صلاة الانسان بقوّة الروح القُدس الحالّ فيه، وتُصبح نفخة المُعَزِّم» البسيطة نارًا مُحرقة للشيطان غير المنظور. لدينا إذن، من لدن الله، مؤيِّد عظيم، وقائد ومعلّم كبير للكنيسة وحارسٌ لها. فلا خوف علينا من الأبالسة ولا من الشيطان، لأن مؤيّدنا أقوى. فلنفتح له أبوابنا «لأنه يجول في طلب الذين هم أهل له» (حكمة ٦:١٧) ليمنحهم عطاياه.

٢٠ – ... ويعزّينا ويشجّعنا ويعضدنا...

لإنه يُدعَى المعزّي لأنه يعزّينا ويشجّعنا ويعضد ضعفنا. «وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا.» (رومية ٨:٢٦).أي عند الله. كثيرًا ما يحدث ان يُهان الانسان ظُلمًا لأجل المسيح، ويُشْرِفُ على الاستشهاد، وتُحيق به جميع ضروب العذاب من كل جانب: النار والسيف، والوحوش الضارية، والهاوية. ولكن الروح القُدس يهمس له بلطف: «تشدّد وليتشجّع قلبك، وارجُ الربّ» (مز٢٦:١٤). إنَّ ما يصيبك الآن، أيها الإنسان، لشيء تافه بالنسبة إلى المكافأة العظيمة التي ستحصل عليها. تعذّب قليلًا من الوقت، وسوف تُصبح مع الملائكة للأبد. «فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا.» (رومية ٨:١٨). إنه يصف للإنسان ملكوت السماوات ويريه فردوس النعيم. والشهداء الذين كانوا بحكم الضرورة يعرضون أجسادهم امام القضاة، كانوا يحتقرون الآلام الظاهرية وإذ كانت نفوسهم متّجهة إلى الفردوس.

الدنيا لا تدوم لأحدٍ مهما كان هذا الانسان سواء كان صالحًا أو طالحًا

والشَّمْسُ لَوْ وقَفَتْ فِي الفُلْكِ دَائِمَةً
لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ